سيرة ابن هشام
الجزء الرابع
من صفحة 102 - 239

وإذا تنزَّلَ ماؤه مــــــن عطفِه يزدادُ زَهْوَا[1]
رَبِذٍ كيعفورِ الصريــــــمةِ راعه الرامون دَحْوَا[2]
شَنِجٍ نَساه ضابــــــطٍ للخيلِ إرخاءً وعَدْوَا[3]
ففدًى لهمْ أمي غَــــــداةَ الروْعِ إذ يمشون قَطْوَا[4]
سيرا إلى كبش الكتيبـــــةِ إذ جَلَتْه الشمس جَلْوَا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو.

ما رد به كعب بن مالك : قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب ابن مالك ، فقال :

أبلغ قريشاً وخيرُ القولِ أصدقـُه والصدقُ عندَ ذوي الألبابِ مقبــــولُ
أن قد قتلنا بقتلانا سَرَاتَكـــمُ أهلَ اللواءِ ففيما يكثرُالقِيلُ
ويومَ بدرلقيناكم لنا مَدد فيــه مع النصرِ مِيكالٌ وجبريل
إن تَقتلونا فدِينُ الحقِّ فِطرتُنــا والقتلُ في الحقِّ عندَ اللهِ تفضــيلُ
وإن تَرَوْا أمرَنا في رأيكم سَفَهـاً فرأيُ من خالفَ الإسلامَ تضـليلُ
فلا تَمَنُّوا لِقاحَ الحربِ واقتعـدوا إنَّ أخا الحربِ أصْدَى اللونِ مشـغولُ
إن لكم عندنا ضرباً تَراحُ لــه عُرْجُ الضباع له خَذْم رعَابيلُ[5]
إنا بنو الحربِ نمريها ونَنْتجهـا وعندنا لذوي الأضغانِ تنكيلُ[6]
إن ينجُ منها ابنُ حرب بعد ما بلغتْ منه التراقي وأمرُ الله مفعــول[7]

---

[1] ماؤه : عرقه .

[2] الربذ: السريع . اليعفور: ولد الظبية. والصريمة الرمال المنقطعة . الدحو: الانبساط .

[3] شنج : منقبض . والنسا: عرق يمتد من الورك إلى الكعب ولا يقال عرق النسا لأن الشيء لايضاف إلى نفسه . ضابط :ممسك

[4] القطو: القطو والأقطيطاء: مشى القطا. وهو مشى فيه خيلاء.

[5] تراح : تهتز. خذم : القطع بالأسنان ، ورعابيل : قطع متمزقة، يقال خباء مرعبل ، أي متمزق .

[6] نمريها: مستعار من مريت الناقة إذا استدررت لبنها، ونتجتها إذا استخرجت منها ولداً، يقال : نتجت الناقة، ونتجها أهلها، وأما أنتجت تنتج فإذا دنا نتاجها.

[7] التراقى : عظام الصدر.

فقد أفادت له حِلماً وموعظـةً لمن يكونُ له لب ومعقـــول

ولوهبطتم ببطنِ السيْلِ كافَحكـمْ ضرب بشاكِلةِ البطحاءِ تَرْعيـــل[8]

تلقاكُمُ عُصَب حولَ النبىِّ لهـم مما يُعدُّون للهيجَا ســرابيلُ

من جِذْمِ غسانَ مُسْتَرخ حمائلُهم لاجُبناءُولامِيل معازيلُ[9]

يمشون تحت عَماياتِ القتالِ كما تمشى المُصَاعبةُ الأدْمُ المراســيلُ[10]

أو مثل مَشْيِ أسودِ الظِّلّ ألْثقَهـا يومُ رَذَاذٍ من الجوزاءِ مشـمولُ[11]

في كلِّ سابغةٍ كالنِّهيِ محكمــةٍ قيامُها فَلَج كالسيفِ بَهلـولُ[12]

تردّ حَدَّ قِرامِ النَبلِ خاسئـــةً ويرجِعُ السيفُ عنها وهْوَ مَفلولُ

ولو قذفتم بِسَلْعٍ عن ظهورِكـمُ وللحياةِ ودفعِ الموتِ تأجيـــلُ[13]

ما زال في القومِ وتْر منكمُ أبـدا تعفو السَّلامُ عليه وهْوَ مطلـولُ[14]

عبدٌ وحرٌّ كريم مُوثِقٌ قَنَصـاً شَطْرَ المدينةِ مأسور ومقتولُ[15]

كنا نؤمِّل أخراكم –فأعجلَكـم منا فوارسُ لا عُزْل ولا ميلُ

إذا جنى فيهم الجانى فقد عَلِمـوا حقا بأن الذي قد جَرَّ محمـولُ

ما نحن لا نحن من إثم مجاهرةً ولا مَلومٌ ولا في الغُرْمِ مخـذولُ

شعر حسان يذكر عدّة أصحاب اللواء: وقال حسان بن ثابت ، يـذكر عِـدّة أصحاب اللواء يوم أحد: قال ابن هشام هذ أحسن ماقيل[16] .

---

[8] شاكلة : طرف . الترعيل : الضرب السريع .

[9] الجذم : الأصل . الميل : الذين لا تروس لهم . والمعازيل : الذين لا رماح لهم .

[10] العمايات : الظلمات . المصاعبة : فحول الإبل .

[11] مشمول : من الريح الشمال ، ألثقها: من اللثق ، وهو البلل والطين اليسير. الرذاذ: معروف ، وهو اكثر من الطش والبغش.

[12] سابغة : درع كاملة . النهي : غدير الماء. البهلول : الأبيض .

[13] سلع : اسم جبل .

[14] السلام : الحجارة . مطلول : غير مأخوذ بثأره .

[15] القنص : الصيد .

[16] هذه القصيدة التى قالها حسان ليلا، ونادى قومه أنـا أبـو الحسـام أنـا أبو الوليد، وهما كنيتـان لـه ، ثـم أمرهم أن يرووها عنه قبل النهار، مخافة أن يعوقه عائق ، فخر فيها على ابن الزبعرى بمقامات له عند ملوك الشام من أبناء جفنة، افتكَّ فيها عناة من قومه .

منع النومَ بالعشاء الهمـــومُ وخيال إذا تَغُورُ النجومُ
من حبيبٍ أضاف قلبَكَ منـه سَقَتم فهو داخل مكتومُ[17]
يا لَقومى هل يَقتلُ المرءَ مثلي واهنُ البطشِ والعظام سَــؤومُ
لو يَدِبُّ الحوْليُّ من ولد الــ ذرِّ عليها لأندَبَتْها الكُلومُ[18]
شأنها العطرُ والفراش ويعلوها لُجَيْن ولؤلؤٌ منظومُ
لم تَفُتْها شمسُ النهارِ بشـيءٍ غيرَ أن الشبابَ ليس يــدومُ
إن خالى خطيبُ جابيةِ الجَـوْ لانِ عندَ النعمانِ حين يقومُ[19]
وأنا الصقرُ عند بابِ ابن سَلْمَى يومَ نُعمان في الكُبولِ سقيمُ
وأبيُّ وواقد أطلقا لـــــيٍ يومَ راحا وكَبلُهم مخطومُ[20]
ورهنْتُ اليديْن عنهم جميعـا كلُّ كفٍّ جُزءٌ لها مقسومُ
وَسَطَتْ نسبتي الذوائبَ منهــمُ كلُّ دار فيها أبٌ لي عظيــمُ[21]
وأبي في سُمَيْحة القائل الفـا صل يوم التقَتْ عليه الخصــومُ[22]
تلك أفعالُنا، وفعل الزبَعْـــرَى خاملٌ في صديقِه مذمومُ
رُبَّ حلمِ أضاعه عدمُ المـــا لِ وجهل - غطا عليه النعيمُ[23]
لا تُسَبنَنى فلستَ بسبــــى إن سَبِّى من الرجالِ الكريمُ
ما أبالي أنبَّ بالحزنِ تيـــس أم لحانى بظهرِ غيبٍ لئيمُ

---

[17] أضاف : زاد.

[18] الحول : الصغير. أندبتها: أثرت فيها. الكلوم : الجروح .

[19] الجابية : الحوض . والجولان : موضع بسوريا.

[20] مخطوم : مكسور .

[21] السطة: الوسط ويكون الوسط غاية المدح إذا ذكر في الأنساب . الذوائب : الأعالي .

[22] أبي: ثابت بن المندر، وسميحة بئر في المدينة احتكم إليه فيها الأوس والخزرج .

[23] غطا: بتخفيف الطاء أنشده يونس بن حبيب ، وهكذا كان في حاشية الشيخ مذكوراً عن يونس وغطا معناه ارتفع وعلا(عن الروض الأنف).

ولي البأس منكم إذْ رحلتــمْ أسرة من بني قَصي صميمُ
تسعةٌ تحملُ اللواء وطـارت في رَعاعٍ من القَنا مخزوم
وأقاموا حتى أبيحوا جميعـا في مقامٍ وكلهم مذمومُ
بدمٍ عانِكٍ وكان حِفاظـاً أن يُقيموا إن الكريمَ كريم[24]
وأقاموا حتى أزيروا شَعُوباً والقَنا في نحورِهم مَحْطومُ[25]
وقريش تَفِرُّ منا لِــوَاذاً أنْ يُقيموا وخَفَّ منها الحلومُ[26]
لم تُطِقْ حَمْلَه العواتقُ منهمْ إنما يحملُ اللواءَ النُّجومُ[27]ا

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع النومَ بالعشاء الهمومُ

ليلا، فدعا قومه ، فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح ، فلا تَرْوُوها عني .

ما قاله الحجاج بن علاط : قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبيدة للحجاج بن عِلاط السُّلَمِىّ يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ويذكر قتله طلحة بن أبي طلحة بن عبد العُزى بن عثمان بن عبد الدار، صاحب لواء المشركين يوم أحد:

للّهِ أيُّ مُذَبِّبٍ عن حُرْمةٍ أعنى ابنَ فاطمةَ المُعِمَّ المُخْـــوِلاَ[28]

---

[24] عانك : أحمر.

[25] الشعوب : اسم من أسماء الموت .

[26] لواذاً : مستترين .

[27] العواتق : جمع عاتق ، ما بين المنكب والعنق . والنجوم : مشاهير الناس . وحماة اللواء من بني عبد الدار، وأنهم صرعوا حوله حتى أخذته امرأة منهم وهى عمرة بنت علقمة، لذلك قال هذا البيت .

[28] ألفيت في حاشية الشيخ أبي بحر على هذا البيت في حاشية الأصل يعنى أصل أبي الوليد، قال إبراهيم " أى " نصب لأنه مديح والمديح نصب في أي حاليه ، فأما ابن هشام فرفع " أى ". قال : وهذا الذي ذكره من نصب "أي" على المديح ، لا يستقيم إلا أن تقدر حذف المبتدأ قبله ، كأنه قال لله أنت لأنه لا ينصب على المدح إلا بعد جملة تامة . وأما الرفع على أن تجعل خبره الله : فقبيح لأنها وإن كانت خبراً، فأصلها الإستفهام فلها صدر الكلام كما كان ذلك في " كم" خبرية كانت ، أو استفهامية، فالتقدير إذاً: للّه دره أي مذبب عن حرمة هو، ألا ترى أنه يقبح أن يقول : "جاءنى أي فتى"، فإن جعلته وصفاً جارياً على ما قبلها، فقلت " جاءنى رجل أي رجل " جاز ذلك ، لأنه إذا كان وصفاً لم تله العوامل اللفظية، فكأنه لم يخرج عن أصله ، إذ المبتدأ لا تليه العوامل اللفظية .. . والمذبب : الحامي. الحرمة : ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه ، ابن فاطمة: هو الإمام علي كرم الله وجهه وفاطمة بنت أسد بن هشام وهى أمه رضى الله عنه ، والمعم

المخول : كريم
الأعمام والأخوال . وانظر الروض الأنف للإمام السهيلى بتحقيقنا.

سبقَتْ يداكَ له بعاجلِ طعنــةٍ تركَتْ طُليحةَ للجبين مُجَذلاَ
وشَدَدْتَ شَدَّةَ باسلٍ فَكشَفْتَهــم بالجرِّ إذ يهوون أخْولَ أخــــــــولاَ[29]

حسان يبكي حمزة : قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت . يبكي حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

يا ميَّ قومي فاندُبِــــنْ بسُحَيْرَةٍ شَجْوَ النوائحْ
كالحاملاتِ الوِقْرِ بالـــثِّقل الـمُلحَّاتِ الدوالحْ[30]
المُعْوِلاتُ الخامشـــــات وجوهَ حُرَّاتٍ صحائحْ[31]
وكأن سيلَ دموعِها الـــأنصابُ تُخْضبُ بالذبائحْ
ينقُضْنَ أشعاراً لهُــــنَّ هناك باديةً المسائحْ[32]
وكأنها أذنابُ خيْـــــل بالضُّحى شُمْسٍ روامحْ[33]

[29] الجر: أصل الجبل . أخول أخولا: واحداً بعد واحد.
[30] الملحات : الثابتات . الدوالح : التي تحمل ثقلا.
[31] الخامشات : الخادشات .
[32] المسائح : ذوائب الشعر.
[33] الشمس : النافرة.

من بينِ مَشْزُور ومجـــ زور يُذَعْذَعِ بالبوارح [34]
يبكين شَجْوا مُسلبـــا تٍ كَدَّحَتهنَّ الكوادح
ولقد أصاب قلوبَهـــا مَجْلٌ له جُلَب قَوارح[35]
إذ أفصِد الحِدْثانَ مَـــن كنا نُرجِّي إذ نُشائح[36]
أصحابَ أحدٍ غالهـــم دهر ألَمَّ له جوارح
مَنْ كان فارسَنا وحـــا مينا إذا بُعث المسالح[37]
يا حمزُ، لا والله لا أنساكَ ما صُر اللقائح[38]
لمُناخ أيتام وأضيـــا فٍ وأرملةٍ تُلامح[39]
ولمَا ينوبُ الدهرُ فـــي حربٍ لحربٍ وهْيَ لاقح[40]
يا فارساً يا مِدْرهـــا يا حمزُ قد كنت المُصامح[41]
عَنَّا شديداتِ الخطـــو ب إذا ينوبُ لهنَّ فادح
ذكَّرتني أسَدَ الرســـو لِ ، وذاك مِدْرَهنا المنافح
عَنا وكان يُعـــــدُّ إذ عُد الشَّريفون الجَحاجح[42]
يعلو القماقم جهـــرةً سَبْطَ اليدين أغرّ واضحْ[43]
لا طائش رَعِـــشٌ ولا ذو علةٍ بالحِمل آنحْ[44]

---

[34] يذعذع : يغرق . البوارح : الرياح الشديدة .
[35] المجل : الجرح . جلب : قشور الجروح . القوارح :المؤلمة.
[36] أقصد: أصاب . نشائح . نحذر.
[37] المسالح : من يحملون السلاح.
[38] صر: ربط . اللقائح : النوق التي لها لبن .
[39] المناخ : مكان النزول . تلافح تنظر سريعا.
[40] لاتح : زائد شرها.
[41] المدره : المدافع . المصامح : شديد الدفع .
[42] الجحاجح : السادة .
[43] القماقم : السادة.
[44] آنح : ثقيل في مشيه.

بحرٌ فليس يُغِبُّ جـــا راً منه سَيْبٌ أو مَنادِح[45]
أوْدَى شبابُ أولِى الحَفـ ائظِ والثقيلون الْمَراجحْ[46]
المُطعمون إذا المشـــا تي ما يُصَفِّفهن ناضح[47]
لحم الجلاد وفوقـــه من شحمه شُطب شرائحْ[48]
ليدافعوا عن جارِهــمْ مارام ذو الضَّغْنِ المُكاشحْ[49]
لَهْفي لشبانٍ رُزِئنَـــا همْ كأنهُم المصابِحْ
شم ، بطارقة، غَطـــا رِفة، خَضَارِمَة، مَسَامحْ[50]
المُشترون الحمدَ بالـــ أموالِ إنَّ الحمدَ رابحْ
والجامِزونَ بلجُمِهـــمْ يوماً إذا ما صاح صائحْ[51]
من كان يرمي بالنـــوا قِرِ من زمانٍ غيرِ صالحْ
ما إن تَزالُ ركابُـــه يَرْسِمنَ في غُبْرٍ صَحاصِحْ[52]
راحَتْ تَبارَى وهْوَ في ركبٍ صدورُهمُ رواشِحْ[53]

---

[45] السيب : العطاء. المنادح : يجوز أن يكون جمع : مندوحة، وهي السعة، وقياسه : مناديح بالياء، وحذفها ضرورة، ويجوز أن يكون من الندح ، فيكون مفاعلا بضم الميم . بمعنى مكاثر ويكون بفتح الميم فيكون جمع مندحة. مفعلة من الكثرة والسعة، وأما قولهم : أنا في مندوحة من هذا الأمر، فهى مفعولة من الندح ، ووهم أبو عبيد فجعله من انداح بطنه إذا اتسع ، والنون في مندوحة أصل وفي نداح زائدة، لأن وزنه انفعل ،والألف في انداح أصل ، وهي بدل من واو، والميم في مندوحة زائدة، والدال عين الفعل .

[46] المراجح : ذوو الحلم .

[47] يصففهن : يحلبهن . الناضح : من شرب دون أن يرتوي .

[48] الشطب : طرائق السيف .

[49] الكاشح : الذي يطوي كشحه على العداوة وقيل الذي يتباعد عنك .

[50] الشم : الأعزاء. والبطارقة: في الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين ، ويقصد بها هنا الرؤساء مطلقا. الغطارفة : السادة . والخضارمة : جمع خضرم ، وهو الكثير العطاء.

[51] الجامزون : الواثبون .

[52] يرسمن : من الرسم وهو نوع من السير. والصحاصح : جمع صحصح ، وهي الأرض الملساء.

[53] رواضح : ترشح العرق .

حتى تئوبَ له المعـــا لي ليس من فوزِ السَّفائح[54]
يا حمزُ قد أوحَدْتنـــى كالعُودِ شَذبَه الكَوافِح[55]
أشكو إليك وفوقك التـرُّ بُ المكَوَّرُ والصفائح
من جَنْدَلٍ نُلقيه فـــوْ قَك إذ أجادَ الصَّرْح ضارِح[56]
في واسعٍ يحشونـــه بالتُّربِ سوَّته المماسح
فعزاؤنا أنَّا نقـــو لُ وقولُنا بَرحٌ بَوارِح[57]
من كان أمسى وهوَ عَمـ ـا أوقعَ الحِدْثان جانِحْ
فليأتنا فلتبْك عينـــ ـاهُ لهلكانا النوافِح[58]
القائلين الفاعليـــن ذوي السماحةِ والمَمادحْ
من لا يزالُ نَدَى يديـ ـه له طوالَ الدهرِ مائح[59]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان ، وبيته : المطعمون إذا المشاتي " وبيته : " الجامزون بلجمهم وبيته : " من كان يرمى بالنواقر " عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان أيضا في بكاء حمزة : قال ابـن إسـحاق : وقـال حسـان بـن ثابت أيضا يبكي حمزة بن عبد المطلب :

أتعرف الدارَ عفا رَسْمُهَـــا بعدَك صَوْبُ المسبلِ الهاطلِ[60]
بينَ السراديحِ فأدْمَانـــةٍ فمَدْفَعِ الروحاءِ في حائلِ[61]

---

[54] السفائح : جمع سفيحة، وهي كالجوالق ونحوه .

[55] الكوافح : القاطعون للعود.

[56] الضرح : القبر.

[57] البرح : الشاق .

[58] النوافح : من يعطون المعروف .

[59] المائح : من ينزل إلى البئر ليستسقي بالدلو.

[60] الصوب : المطر. والمسبل : السائل .

[61] السراديح : الوديان . وأدمانة: مكان . والمدفع : حيث اندفاع الماء. والروحاء: بلد. وحائل : وادي .

ساءلتُها عن ذاك فاستعجمــتْ لم تدرِ ما مَرْجوعة السـائلِ[62]
دعْ عنك داراً قد عفا رسمُهـا وابك على حمزةَ ذي النائل
المَالئ الشّيزَى إذا أعْصَفــتْ غبراءُ في ذي الشّبِم الماحِلِ[63]
والتاركِ القِرْنَ لدى لِبــدَةٍ يَعْثُر في ذي الخُزوص الذابلِ[64]
واللابسِ الخيل إذ أجحَمــتْ كالليثِ في غابتِه الباسلِ[65]
أبيضُ في الذّرْوةِ من هاشــمٍ لم يَمر دونَ الحقّ بالباطلِ[66]
مالَ شهيداً بينَ أسيافِهــم شُلّتْ يدَا وحْشِيِّ من قاتلِ
أي امرىءٍ غادر في ألــةٍ مَطْرورة مارنةِ العاملِ[67]
أظلمت الأرضُ لفقدانِــه واسود نورُ القمرِ الناصلِ[68]
صلى عليه الله في جَنــةٍ عاليةٍ مُكْرَمةِ الداخلِ
كنا نرى حمزةَ حِرزا لنــا في كلِّ أمر نابنا نازلِ
وكان في الإسلامِ ذا ثُــدْرإٍ يَكفيك فقدَ القاعدِ الخاذلِ[69]
لا تفرحى يا هندُ واستحلبــي دمعاً وأذرِي عَبرةَ الثاكلِ
وابكي على عتبةَ إذ قَطّــه بالسيفِ تحتَ الرَّهج الجائلِ[70]
إذا خرّ في مشيخةٍ منكــمُ مِن كلِّ عاتٍ قَلْتُه جاهلِ
أرداهمُ حمزةُ في أسْــرةٍ يمشون تحتَ الحَلَقِ الفاضلِ

---

[62] المرجوعة : الرد.

[63] الشيزى : جفان من خشب الأبنوس . الغبراء: الريح . والشبم في الأصل الماء البارد ويقصد بها هنا أيام الزمهرير.

[64] ذو الخرص: ذو السنان وهو الرمح . الذابل : الرقيق .

[65] أججمت:أحجمت

[66] لم يمر: لم يجادل .

[67] الإلة: الحربة. مطرورة: محددة . مارنة: لينة . العامل : أعلى الرمح .

[68] الناصل : الخارج من بين السحاب .

[69] ذا تدرإ: أي صاحب مدافعة ومنافحة .

[70] قط : قطع . الرهج : الغبار. الجاكل : المتحرك .

غَداةَ جبريلَ وزير لـــــه نعم وزيرُ الفارسِ الحامِلِ
ما قاله كعب بن مالك رثاءً لحمزة : وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب :
طرقتْ همومُك فالرقادُ مُسَهَّـدُ وجَزِعتَ أن سُلخَ الشبابُ الأغْيـــدُ[71]
ودَعتْ فؤادَك للهوَى ضَمْرَيَّـةٌ فهواك غَوْرِى وصحوُك مُنْجِدُ[72]
فدع التمادي في الغَوايةِ سـادراً قد كنتَ في طلبِ الغوايةِ تُفْنَـــدُ
ولقد أنَى لك أن تَناهَى طِائعـاً أو تستفيقَ إذا نهاك المرْشِـــدُ
ولقد هُدِدْتُ لفقدِ حمزةَ هَـــدةً ظلتْ بناتُ الجوفِ منها تَرْعَـــدُ[73]
ولو أنه فُجعَتْ حِرَاءُ بمثلِـــه لرأيتُ راسِيَ صخرِها يتبدَّدُ
قَرْمٌ تمكنَ في ذوابةِ هاشـــمٍ حيثُ النبوَّةَ والنّدَى والسُّـــودُ
والعاقرُ الكُومَ الجِلادَ إذا غـدَتْ ريحٌ يكادُ الماءُ منها يَجمُـــدُ[74]
والتاركُ القِرْنَ الكِمَىّ مُجَـــذلاً يومَ الكريهةِ والقَنا يتقصَّدُ
وتراه يَرْفُلُ في الحديدِ كأنــه ذو لِبدةٍ شَثْنُ البراثِنِ أرْبدُ[75]
عمُّ النبيِّ محمدٍ وصفيُّـــــه وَرِدَ الحِمامَ فطابَ ذاكَ الموْرِد
وأتى المنيةَ مُعْلِماً في أســـرةٍ نصروا النبي ومنهم المسْتَشـــهَدُ
ولقدْ إخالُ بذاك هنداً بُشِّـــرتْ لتُميت داخلَ غصَّةٍ لا تَبردُ
مما صَبحْنا بالعَقَنْقَلِ قومَهـــا يوماً تَغيَّب فيه عنها الأسعدُ[76]

---

[71] أراد الرقاد مسهد صاحبه ، فحذف المضاف ، وأقـام المضـاف اليـه مقامه ، وهو الضمير المخفوض ، فصار الضـمير مفعـولا لـمَ لـم يسـم فـاعله ، فاسـتتر فـي المسهد. الأغيد: أي الأغيد صاحبه ، وهو الناعم .

[72] ضمرية : منسوبة إلى قبيلة . ضميرة.

[73] بنات الجوف : القلب وما اتصل به من الأحشاء.

[74] الكوم : عظمة السنام من الإبل .

[75] ذو لبدة : الأسد. والشثن : الغليظ . البراثن : مخالب الأسد. والأربد: الأغبر.

[76] العقنقل : كثيب الرمل .

وببئرِ بدر إذ يَردُّ وجوهَهــــم   جبريلُ تحتَ لوائِنا ومحمدُ
حتى رأيتُ لدى النبيِّ سَرَاتَهـــم   قِسْمين : يَقتلُ من نَشاءُ ويَطْــــرِدُ
فأقام بالعَطَنِ المعطَّن منهـــمُ   سبعون : عتبةُ منهمُ والأســــودُ[77]
وابنُ المغيرةِ قد ضربنا ضربــة   فوقَ الوريدِ لها رشاشٌ مُزْبِــــدُ
وأميةُ الجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَـــــه   عَضْبٌ بأيدي المؤمنين مُهَنَدُ
فأتاك فَلُّ المشركين كأنهـــــم   والخيلُ -تَثفِنُهم- نَعامٌ شُــــرَّدُ[78]
شتانَ من هو في جهنمَ ثاويـــاً   أبداً ومن هو في الجِنان مُخَلَّــــدُ

وقال كعب أيضاً يبكي حمزة :

صفيةُ قومي ولا تَعْجــزي   وبكِّي النساءَ على حمزةِ
ولا تسأمي أن تطيلي البكـا   على أسدِ الله في الهزةِ
فقد كان عِزّاً لأيتامِنــا   وليْثَ الملاحمِ في البَزَّةِ[79]
يريد بذاك رضا أحمـــد   ورضوانَ ذي العرشِ والعِزَّةِ

ما قاله كعب في غزوة أحد: وقال كعب أيضاً في أحد:

إنكِ عَمْرَ أبيك الكريــ   ـمِ أن تسألى عنكِ من يَجْتدينَا[80]
فإن تسألي ثم لا تُكْذَبــى   يُخبرْك من قد سألتِ اليقينَا
بأنا ليالىَ ذاتِ العظـــا   مِ كُنا ثمالا لمن يعترينا[81]

---

[77] المعطن : مبرك الإبل .

[78] تثفنهم : أى : تتبع آثارهم ، وأصله من ثفنات البعير، وهو ما حول الخف منه .

[79] البزة : السلاح ، وهو من بززت الرجل إذا سلبته بزنه ، يقال : مـن عز بز، أى : من غلب سلب ، والبزابز: الرجل الشديد.

[80] يجتدينا: يطلب معروفنا.

[81] ذات العظام : يقصد هنا بها ذات الجـوع الشـديد حـتى إن العظـام ليعاد طبخها. والثمال : الغيات .

تلوذ البجودُ بأذرائِنـــا من الضُّرِّ في أزَماتِ السنينا[82]
بجدْوَى فُضولٍ أولى وُجْدِنا وبالصبرِ والبذلِ في المُعدمينا
وأبقتْ لنا جَلَمات الحـــر وبِ ممن نوازِي لدن أن بُرينا[83]
معاطنَ تهوى إليها الحُقـو قُ يَحسَبها من رآها الفَتينا[84]
تُخيِّس فيها عتاقُ الجمـا ل صُحْماً دواجنَ حُمراً وُجُونا[85]
ودُفَّاع رَجْلٍ كموجِ الفـرا تِ يَقْدُم جَأواءُ جُولا طَحونا[86]
ترى لونَها مثلَ لونِ النجـو مِ رَجْراجةً تُبرقُ الناظرينا
فإن كنتَ عن شأنِنا جاهـلاً فَسَلْ عنه ذا العِلمِ ممن يَلينا
بنا كيف نفعلُ إن قلَّصتْ عَوَاناً ضَروساً عَضوضاً حَجونا[87]
ألسنا نَشُدُّ عليها العِصـا بَ حتى تَدُروحتى تلينا[88]

---

[82] البجود: جمع بجد، وهم جماعة من الناس ، ويروى النجود بالنون ، وهي المرأة المكروبة، والنجود من الإبل : القوية . بأذرائنا، جمع ذرا من قولهم : أنا في ذرا فلان ، أي في ستره .

[83] جلمات : من قولك جلمت الشىء ، وجرشته إذا قطعته ، ومنه : الجلمان . برينا: خلقنا، والباري : الخالق سبحانه .أي هذا حالنا من لدن خلقنا.

[84] [illegible]

عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ [الذاريات: 13] وأصل الفتن الإختبار، وانما قيل : فتنت الحديدة بالنار، لأنك تختبر طيبها من خبيثها.

[85] تخيس : تذلل . الصحم : السود. دواجن : مقيمة. الجون : يريد بها هنا البيض .

[86] الدفاع : ما يندفع من السيل . رجل : رجال . جأواء: أي كتيبة لونها لون الحديد لكثرة ما عليها من السلاح . الجول : جانب البئر. الطحون : التي تطحن ما تمر به أي تهلكه لقوتها .

[87] إن قلصت : يعنى الحرب ، ثم وصفها فقال : عضوضاً حجونا من العض، وحجونا من حجمت العود إذا لويته . العوان : المستمرة . والضروس : القوية .

[88] هذا كله من صفة الحرب ، شبهها بناقة صعبة قلصت ، أي صارت قلوصاً، أي إنّا نذلل صعبها، ونلين من ضراسها.

ويومٌ له رَهَجٌ دائـــم شديدُ التهاوُلِ حامي الأرِينا[89]
طويل شديدُ أوارِ القِتـــا لِ تَنْفي قواحِزُه المُقرِفينا[90]
تَخالُ الكُماةَ بأعراضِـــه ثِمالاً على لذَّةٍ مُنزِفِينا[91]
تَعاوَرُ أيمانُهم بينهُـــم كئوسَ المنايا بحدِّ الظبينا[92]
شَهِدْنا ككُنا أولي بأسِـــه وتحت العَمايةِ والمُعلمينا
بخُرْسِ الحسيسِ حسانٍ رِواء وبُصْرِيَّة قد أجِمْنَ الجُفونا[93]
فما يَنْفَلِلْنَ وما ينحَنَيْـــنَ وما يَنْتَهَيْنَ إذا ما نُهينا
كبرقِ الخريفِ بأيدِي الكُماةِ يُفَجِّعْنَ بالظلِّ هاماً سُكُونا[94]
وعلَّمنا الضربَ أباؤنـــا وسوف نعلمُ أيضاً بَنينا
جلادَ الكُماةِ ، وبذلَ النّـِلا دِ، عن جُلِّ أحسابِنا ما بَقينا
إذا مرَّ قرْن كفى نسلُـــه وأورثه بعدَه آخرينا
نَشِبُّ وتهلك اباؤنـــا وبيْنا نُربِّي بَنينا فنينا
سألتُ بك ابن الزبَعْرَى فلـم أنبأك في القومِ إلا هَجينا

---

[89] الرهج : الغبار. التهاول : جمع تهويل ، والتهاويل : ألوان مختلفة . الأرين : جمع إرة: وهي مستوقد النار.

[90] القواحز: القلق . المقرفون : جمع مقرف : النذل الدنيء .

[91] أعراضه : جوانبه . المنزف : من ذهبت الخمر بلبه .

[92] الظبينا: جمع ظبة، وجمعها على هذا الجمع السالم ، غير أنه لم يكسر أول الكلمة كما كسرت السين من سنين إشعاراً بالجمع ، لأن الظبين لا يشبه أن يكون واحداً، إذ ليس في الأسماء فعيل ، وكسروا أول سنين ايذاناً بأنه جمع كي لا يتوهم أنه اسم على فعول ، إذ ليس في الأسماء فعول ولا فعيل ولم يبلغ سيبويه أن ظبة تجمع على ظبين ، وقد جاء في هذا الشعر، وفي غيره كما تراه.

[93] حسان رواء: من الذم . بصرية : منسوبة إلى مشارف من أرض الشام ، لأنها تصنع فيها. خرس الحسيس : السيوف الصامتة . أجمن : مللن . الجفون : أغماد السيوف.

[94] الظل : ظلال السيوف . الهام : الرءوس . السكون : الساكن .

خبيثا تُطيف بك المُنديــات مُقيماعلى اللؤمِ حينا فحينا[95]
تبجَّسْتَ تهجو رسولَ المليـ ك قاتلك الله جِلفا لعينا[96]
تقول الخَنا ثم ترمي بـــه نقىَّ الثيابِ تَقِيّا أمينا

قال ابن هشام : انشدني بيته : " بنا كيف نفعل "، والبيت الذي يليه ، والبيت الثالث منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله " نشب وتهلك أباؤنا " والبيت الذي يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الأنصاري . قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك أيضا، في يوم أحد:

سائلْ قريشا غَداةَ السفحِ من أحدٍ ماذا لَقِينا وما لاقوا من الهـــــرَبِ
كنا الأسودَ وكانوا النُّمر إذ زحفوا ما إن نراقب من آلٍ ولا نســــبِ
فكم تركنا بها من سَيدٍ بطــلٍ حامى الذِّمارَكريم الجَدِّ والحسبِ
فينا الرسولُ شهاب ثم يَتْبعــه نور مضىء له فضل على الشُّــهبِ
الحقُّ منطقُه والعدلُ سيرتُــه فمن يجبْه إليه يَنْجُ من تَبَبِ
نجدُ المُقَدَّمِ،ماضي الهمِّ،معتــزم حينَ القلوبُ على رَجْفٍ من الرعُــبِ
يمضى ويذمُرنا عن غيرِ معصيةٍ كأنه البدرُ لم يُطْبَعْ على الكــذبِ
بدا لنا فاتبعناه نُصدقُــــه وكذبوه فكنا أسعدَ العربِ
جالوا وجُلنا فما فاءوا وما رَجعوا ونحن نثْفِنهم لم نألُ في الطلـــبِ
ليسا سواءً وشتَّى بينَ أمرِهمــا حزبُ الإلهِ وأهلُ الشركِ والنُّصُــبِ

قال ابن هشام : انشدنى من قوله . " يمضى ويذمرنا " إلى آخرهـا، أبـو زيد الأنصاري .

شعر ابن رواحة في رثاء حمزة : قال ابـن اسـحاق : وقـال عبـدالله ابـن رَوَاحة يبكي حمزة بن عبد المطلب . قال ابن هشام : انشدنيها

---

[95] تطيف بك المنديات : أى الأمور الشنيعة .

[96] تبجست ، من تبجس الماء، اذا انفجر.

أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

بَكَتْ عينى وحقَّ لها بُكاهـا وما يُغنى البكاءُ ولا العويلُ
على أسدِ الالهِ غَداةَ قالــوا أحمزةُ ذاكُم الرجلُ القتيلُ
أصيب المسلمون به جميعـا هناك وقد أصيب به الرسولُ
أبا يَعْلى لك الأركانُ هُـدَّتْ وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصولُ
عليك سلامُ ربِّك في جِنـانٍ مُخالطها نعيم لا يزولُ
ألا يا هاشمَ الأخيارِ صبـرا فكل فعالِكم حَسَنٌ جميلُ
رسولُ الله مُصْطَبِر كريـمٌ بأمرِ الله ينطقُ إذ يقولُ
ألا مَن مُبلغ عنى لُؤيــا فبعد اليومِ دائلةٌ تدولُ[97]
وقبل اليومِ ما عَرَفوا وذاقوا وقائعَنا بها يُشْفَى الغليلُ
نسِيتم ضربَنا بقليبِ بــدر غَداةَ أتاكمُ الموتُ العجيلُ
غدَاة ثَوى أبو جهلٍ صريعا عليه الطيرُ حائمة تجولُ
وعتبةُ وابنُه خرَّا جميعـا وشَيْبَةُ عضه السيفُ الصقيلُ
ومَتركُنا اميةَ مُجْلَعِبّــا وفى حَيْزومه لَدَن نبيلُ[98]
وهامَ بني ربيعةَ سائِلُوهـا ففى أسيافِنا منها فُلُولُ
ألا يا هندُ فابكي لا تَمَلّـي فأنتِ الوالهُ العَبْرَى الهَبُولُ[99]
ألا يا هندُ لا تُبدي شِماتـاً بحمزةَ إن عزَّكمُ ذليلُ

ما قاله كعب بن مالك في أحد: قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبلغْ قريشاعلى نأيِهــا اتفخَرُ منا بما لم تَلِى

---

[97] الدائلة : يقصد بها الحرب .

[98] مجلعبا: متمددا على الأرض . الحيزوم : أسفل الصدر. اللدن النبيل : الرمح العظيم .

[99] الهبول : الفاقدة.

فخرتم بقتلَى أصابتهــمُ فواضلُ من نِعَمِ المُفْضِلِ
فحَلُّو جِنانا وأبقوا لكــم أسودا تُحامى عَن الأشْبُلِ
تقاتلُ عن دينِها، وَسْطَهـا نبى عن الحقِّ لم يَنْكُل
رمته مَعَدّ بعُورِ الكــلامِ ونَبْلِ العداوةِ لا تأتَلى[100]

قال ابن هشام : أنشدنى قوله . " لم تلى "، وقوله " من نعم المفضـل " أبو زيد الأنصاري .

ما قاله ضرار بن الخطاب من الشعر في غزوة أحد: قـال ابـن اسـحاق : وقال ضرار بن الخطاب في يوم أحد:

ما بالُ عينك قد أزرى بها السُّهـَدُ كأنما جال في أجفانِها الرمــــدُ
أمِنْ فراقِ حبيبٍ كنتَ تألفــه قد حالَ من دونِه الأعداءُ والبُعُـــدُ
أم ذاك من شغْبِ قومٍ لاجَداءَ بهـم إذ الحروبُ تلظَّتْ نارُها تَقِـــدُ
ما ينتَهون عن الغَيِّ الذي ركِبـوا وما لهم من لُؤَي ويحهم عَضُـــدُ
وقد نشدناهمُ بالله قاطبـــةً فما تردُّهمُ الأرحامُ والنِّشَدُ[101]
حتى اذا ما أبوْا الا محاربـــةً واستَحصدتْ بينَنا الأضغانُ والحِقـــدُ
سرنا إليهم بجيشٍ في جوانبِــه قَوانسُ البيضِ والمحْبوكةِ السُّـــرَدُ[102]
والجُرْدُ تَرفُلُ بالأبطالِ شازِبةً كأنها حِدَاٌ في سيرِها تُؤَدُ[103]
جيش يقودهمُ صخر ويرأسُهم كأنه ليثُ غابٍ هاصرٌ حَـــرِدُ[104]
فأبرز الحَينُ قوما من منازِلِهـم فكان منا ومنهم مُلَتَقًى احُـــدُ

---

[100] لا تأتلي : لا تقصر.

[101] النشد : الإيمان .

[102] القوانس : ما علا بيض السلاح . المحبوكة : جيدة الصنع . والسرد: النسج ، ويريد بها هنا الدروع .

[103] الجرد: عناق الخيل . شازبة : ضامرة .

[104] هاصر: كاسر. حرد: غاضب .

فغودرتْ منهمُ قتلى مُجدَّلــــة   كالمَعْز أصْرَدَهُ بالصَّرْدَحِ البَرَدُ[105]
قتلَى كرام بنو النجارِ وَسْطهم   ومُصعب من قَنَانا حوله قِصَدُ[106]
وحمزةُ القَرْمِ مصروغ تُطيفُ به   ثكْلَى وقد حُزَّ منه الأنفُ والكبِدُ[107]
كأنه حين يكبُو في جَدِيتِّـــه   تحتَ العَجاجِ وفيه ثعلَبٌ جَسدُ[108]
حُوارُ نابٍ وقد ولَّى صحابتُه   كما تولى النعاُم الهاربُ الشُّرُدُ[109]
مُجَلِّحين ولا يَلْوُون قد مُلِئـوا   رُعبا، فنجَّتْهم العَوْصاء والكُؤُدُ[110]
تبكي عليه نساءٌ لا بُعولَ لهـا   من كلِّ سالبةٍ أثوابُها قدَدُ[111]
وقد تركناهم للطيرِ ملْحمــة   وللضباعِ إلى أجسادِهم تَفِدُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار.

ما ارتجز به أبو زعنة يوم أحـد: قـال ابـن اسـحاق : وقـال أبـو زَعْنـة بـن عبدالله بن عمرو بن عُتبة، أخو بني جُشَم بن الخزرج يوم أحد:

أنا أبو زَعْنةَ يعدو بى الهُزَمْ   لم تُمنَعِ المَخْزاةُ إلا بالألمْ[112]
يحمي الذِّمارَ خزرجي من جُشَمْ

---

[105] أصرده : برده : الصردح : المكان الصلب

[106] قصد:قطع .

[107] القرم : السيد .

[108] جديته : أي : في دمه السائل . الثعلب : يريد ثعلب الرمح وهو الجزء الداخل من الرمح
في السنان . جسد: من الجساد، وهو الدم الجامد.

[109] الحوار: ولد الناقة . الناب : المسنة من الإبل .

[110] مجلحين : مصممين. العوصاء. العفية الشديدة الصعبة . الكؤد جمع كؤود: عقبة صعبة ، المرتقى أو صعبة المصعد.

[111] السالبة : اللابسة السلاب وهو لباس الحزن . قدد: قطع .

[112] الهزم : اسم فرس .

ما نسب لعلي رضي الله عنه من الرجـز يـوم أحـد: وقـال ابـن اسـحاق : وقال على بن أبي طالب - قال ابن هشـام : قالهـا رجـل مـن المسـلمين يوم أحد غير علي ، فيما ذكر لي بعض أهـل العلـم بالشـعر، ولـم أر أحـدا منهم يعرفها لعليّ .

لاهُمَّ إن الحارثَ بنَ الصّمّـَهْ كان وفيًّا وبنا ذا ذِمَّهْ
أقْبلَ في مَهامَهٍ مُهمـــــهْ كليلا ظلماء مُدْلهمَّهْ[113]
بينَ سيوفٍ ورماحٍ جَمَّـــهْ يبغى رسولَ الله فيما ثَمَّهْ

قال ابن هشام: قولـه : "كليلة " عن غير ابن اسـحاق . مـا قـاله عكرمـة يوم أحد: قال ابن اسحاق : وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد:

كلُّهمْ يزجرُه أرْحِبْ هَلا ولن يَرَوْه اليومَ الا مُقْبِلا[114]
يحملُ رُمحا ورئيسا جَحْفَلا

ما ق ـاله أعشـى بـن زرارة يبكـي قتلـى أحـد مـن بنـي عبـد الـدار: وقـال الأعشى بن زرارة بن النباش التميمى - قال ابن هشام ثم أحد بني أسـد بن عمرو بن تميم - يبكي قتلى بني عبد الدار يوم أحد:

حُيِيَ مِن حَي عليَّ نأيهـم بنو أبي طلحة لاتُصرَفُ[115]
يمرُّ ساقيهم عليهم بهـا وكلُّ ساقٍ لهم يَعرفُ
لا جارهمْ يشكو ولا ضيفُهم من دونِه بأب لهم يَصْرِفُ

---

[113] المهامه : القفار .

[114] أرحب هلا: هو من زجر الخيل ، وكذلك هقط وهقَط وهب وسقب .

[115] لا تصرف : لا ترد.

ما قال ابن الزبعرى يوم أحد: وقال عبدالله بن الزبعرى يوم أحد:

قتلنا ابن جَحشٍ فاغتبطنا بقتلـِه وحمزةَ في فرسانِه وابنَ قوقــل

وأفلَتَنا منهم رجال فأسرعــوا فليتهم عاجوا ولم نتعجَّلِ

أقاموا لنا حتى تَعضَّ سيوفُنــا سراتهم وكلنا غيرُ عُزَّلِ

وحتى يكونَ القتلُ فينا وفيهـمُ ويلْقَوْا صَبوحا شرُّه غيرمُنجَلـى "

قال ابن هشام : وقوله : " وكلنا " وقوله : " ويلقوا صبوحا ": عـن . غيـر ابن اسحاق .

ما رثت به صفية أخاها حمزة: قال ابن اسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب :

أسائِلة أصحابَ أحد مخافـــةً بناتُ أبي من أعجمٍ وخبيرِ

فقال الخبيرُ أن حمزةَ قد ثَـــوَى وزيرُ رسولِ اللهً خيرُ وزيـــرِ

دعاه الهُ الحقِّ . ذو العرش دعـوةً إلى جنةٍ يحيا بها وسرورِ

فذلك ما كنا نرجِّي ونرتجـــي لحمزةَ يومَ الحشرِ خيرَ مصيرِ

فوالله لا أنساك ما هبَّتِ الصّبـا بكاءً وحزنا مَحْضَرِي ومسـيري

على أسدِ الله الذي كان مِدْرَهــا يذود عن الإسلامِ كلَّ كفـورِ[116]

فيا ليت شلْوي عند ذاك وأعظمي لدى أضْبُعٍ تَعْتادنى ونسـورِ[117]

أقولُ وقد أعلى النَّعِى عشيرتـى جزى الله خيرا من أخٍ ونصـيرِ

بكاءً وحُزنا مَحْضَرِي ومَسيرِي

ما بكت به نعم زوجها شماسا: قـال ابـن اسـحاق : وقـالت نعـم ، امـرأة شَمَّاس بن عثمان ، تبكي شماسا، وقد أصيب يوم أحد :

---

116 المدرة : من يدافع عن القوم .

117 الشلو: بقية الفريسة.

ياعينُ جودي بفيضٍ غيرإبْساسِ   على كريمٍ من الفتيانِ إبـــــــــــــــــــــــــاس[118]
صعبِ البديهةِ ميمونٍ نقيبتُـه   حَمالِ ألويةٍ رَكابِ أفراسِ[119]
أقولَ لما أتى الناعي له جَزعا   أوْدَىالجوادُ وأودى المطعمُ الكاسى
وقلتُ لما خلَتْ منه مجالسُـه   لا يُبْعِدُ الله عنا قُرْبَ شماسِ

ما قاله أبو الحكم أخو نعم يعزيها: فأجابها أخوها، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يعزيها، فقال :

اقنى حياءَكِ في سِتر وفى كرمٍ   فإنما كان شماسٌ من النـــــــــــــــــــــاس
لا تقتلى النفسَ إذ حانت منيتُـه   في طاعةِ الله يومَ الرَّوْعِ والبـــــــــــــــــــــــــاسِ
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبرِي   فذاقَ يومئذٍ من كأسِ شماسِ

ما قالته هند بنت عتبة بعد رجوعها من أحد: وقالت هند بنت عتبة، حين انصرف المشركون عن أحد:

رجعتُ وفى نفسي بلابلُ جَمَّـةٌ   وقد فاتنى بعضُ الذي كان مطلـــــــــــــــــــــــــبي[120]
من أصحابِ بدرٍ من قريشٍ وغيرِهم   بني هاشمٍ منهم ومن أهل يثربِ
ولكننى قد نِلتُ شيئا ولم يكن   كماكنت أرجوفى مسيري ومركـــــــــــــــــــــــبى

قال ابن هشام : وانشدني بعض أهل العلم بالشعر قولَها:

وقد فاتنى بعضُ الذي كان مطلبى

وبعضهم ينكرها لهند، والله اعلم .

---

118 الإبساس : ان تستدر لبن الناقة بأن تمسح ضرعها، وتقول لها: بس بس فاستعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف ولا استدرار له . والإباس : الشديد.

119 صعب البديهة: اى : بديهته لا تعارض ولا تطاق ، فكيف رويته واحتفاله .

120 البلابل : الأحزان .

ذكر يوم الرجيع
في سنة ثلاث

مقتل خبيب وأصحابه : قال حدثنا ابو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي ، قال : حدثنا عاصم بن عُمر بن قَتادة، قال : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَ أحد رهط من عَضَل والقَارَّة .

نسب عضل والقارة : قال ابن هشام : عَضَل والقارة[121] ، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْرِكة.

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء.

النفر من المسلمين الذين ذهبوا لتعليمهم : قال ابن اسحاق : فقالوا: يا رسول الله ، إن فينا اسلاما، فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا في الدين ، ويُقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستةً[122] من اصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الغَنويُّ ، حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البُكير الليثى، حليف بني عَدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقْلح ، أخو بني عَمرو ابن عَوْف بن مالك بن الأوْس ، وخُبَيْب بن عدي[123] ، أخو بني جَحْجَبِيّ بن كُلْفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدّثِنَّة بن معاوية[124]

---

[121] وهما بطنان من بني الهون ، والهون هم بنو الريش ويتبع ابنى الهون بن خزيمة، والقارة الحرة .

[122] وذكر ان اصحاب خبيب كانوا ستة، وفي الجامع الصحيح للبخاري انهم كانوا عشرة، وهو اصح ، والله اعلم.

[123] خبيب : هو من بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

[124] زيد بن الدثنة بن معاوية مقلوب من الثدنة، والثدنة استرخاء اللحم .

اخو بني بَياضة بن عمرو بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بـن غَضْـب ابـن جُشم بن الخزرج ؛ وعبدالله بن طاردّ حليف بنـي ظفـر بـن الخـزرج ابـن عمرو بن ملاك بن الأوْس .

غدر عضل والقارة بمن أرسلهم الرسول : وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَد الغَنَوي فخرج مع القوم . حـتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهُـذيل بناحيـة الحجـاز، على صـدور الهَـدْاة[125] غدروا بهم ، فاستصرَخوا عليهم هُذَيلا، فلم يَرُع القوم ، وِهم في رحالهم ، إلا الرجالُ بأيديهم السيوف ، قـد غَشُـوهم ؛ فأخـذوا اسـيافهم ليقـاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلَكم ، ولكنا نريد ان نُصيب بكـم شـيئا مـن اهل مكةَ ولكم عهدُ الله وميثاقُه ان لا نقتلكم .

من قتل منهم : فاما مَرْثَد بن أبي مرثد، وخالد بن البُكير؛ وعاصم ابن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا ابدا؛ فقال عاصم بن ثابت :

ما علَّتي وانا جَلْدٌ نابــلُ والقوْسُ فيها وتر عُنَابِلُ[126]
تزلُّ عن صفحتِها المعَابِل الموتُ حق والحياةُ باطلُ[127]
وكلّ ما حمَ الِالهُ نــازلُ بالمرءِ والمرءُ اليه آئِلُ[128]
إن لم اقاتلْكم فأمى هابِلُ

---

[125] الهدأة : موضع بين عسفان ومكة . كما ذكر البخاري في صحيحه - انظر لنا: مفاتيح القارى لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

[126] النابل : صاحب النبل . والعنابل : الشديد، وانه من العبالة، وهي القوة، والنون زائدة والعبالة ايضا: شجرة صلبة وفى الخبر أن عصا موسى كانت من عبالة، وقد روي أن عصا موسى كانت من عين ورقة آس الجنة، ويجوز أن يكون منحوتا من أصلين : من العنن والنبل ، كأنه يسيب ما عن له بنبله .

[127] المعابل : الأنصال العريضة.

[128] آئل : صائر .

قال ابن هشام : هابل : ثاكل .
وقال عاصم بن ثابت أيضا:
أبو سليمانَ وريشُ المُقْعَـدِ   وضالة مثلُ الجحيمِ الموقَدِ[129]
إذا النواجي افترُشت لم أرْعدِ   ومُجنأ من جلدِ ثَوْر أجـــــرَدِ[130]
ومؤمن بما على محمدِ
وقال عاصم بن ثابت أيضا:
أبو سليمانَ ومثلى رامَـــى   وكان قومي معشرا كرامَا
وكان عاصم بن ثابت يكنى:أبا سليمان . ثم قاتل القومَ حتى قُتل وقُتل صاحباه .

حماية الدبر عاصما: فلما قُتل عاصم أرادت هُذَيل أخذ رأسَه ، ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شُهَيْد، وكانت قد نَذَرت حين أصاب أبنيها يوم أحد: لئن قَدَرَتْ على رأس عاصم لتشربنَّ في قِحْفِه الخمر، فمنعه الدَّبْرُ[131] ، فلما حالت بينه وبينهم قالوا: دعوه يُمْسى فتذهب عنه ، فناخذه . فبعث الله الوادي ، فاحتمل عاصما، فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشركٌ ، ولا يمس مُشركا أبدا، تَنجُّسا فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه ان الدَّبْرَ منعته : يحفظ الله العبدَ المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .

---

[129] أبو سليمان ، أي : أنا أبو سليمان عرفت في الحرب ، وعندي نبل . المقعد: رجل يريش النبل . الضالة يريد بها القوس . وهى في الأصل شجرة، تصنع منها القسى .
[130] النواجى : الإبل السريعة. افترشت : عمرت . المخبا: الترس لا حديد فيه .
[131] الدَّبْر: الزنابير.

بيع خبيب وابن الدثنة وقتل عبدالله بن طارق : وأما زيد ابن الدَّثِنَّة وخُبَيب بن عدي ، وعبدالله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة، ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَّهْران[132] ، انتزع عبدُالله بن طارق يدَه من القرآن[133] ، ثم أخذ سيفَه ، وأستاخر عنه القومُ ، فرَموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبرُه ، رحمه الله ، بالظهران ؛ وأما خُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثِنَة فقدموا بهما مكة .
قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة .
قال ابن اسحاق : فابتاع خُبيبا حُجَيْر بن أبي إهاب التميمي ، حليف بني نَوْفل ، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب بن عامر لأمه فقتله بأبيه .
قال ابن هشام : الحارث بن عامر، خال أبي إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بني أسَيِّد بن عمرو بن تميم ؛ ويقال : أحد بني عُدَس بن زيد ابن عبدالله بن دَارِم ، من بني تميم
من قوة ايمان ابن الدثنة : قال ابن اسحاق : وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان ابن امية مع مولًى له ، يقال له نِسْطَاس ، إلى التنعيم[134] ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه واجتمع رهط من قريش، فيهم ابو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قُدم ليُقتل : أنشُدُك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقَه ، وإنك في أهلك ؟ قال :

---

[132] الظهران : واد قريب من مكة.
[133] القرآن: الحبل الذي يربط به الأسير.
[134] موضع خارج مكة في الحل .

والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وإني جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيتُ في الناس أحدا يحبُّ أحدا كحبِّ أصحاب محمدٍ محمدا؛ ثم قتله نِسْطَاس يرحمه الله .

دعوة خبيب ومقتله : وأما خُبَيْب بن عدي ، فحدثني عبدالله بن أبي نَجيح ، أنه حُدث عن ماويَّةَ، مولاة حُجَيْر بن أبي إهاب ، وكانت قد اسلمت ، قالت : كان خُبَيْب عندي ، حُبس في بيتي ، فلقد اطَّلعتُ عليه يوما، وإن في يده لقِطْفا من عنب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنبا يُؤْكَل .

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي نَجيح جميعا أنها قالت : قال لي حين حضره القتلُ : ابعثى الىَّ بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاما من الحى الموسى ، فقلت : ادخلْ بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فوالله ما هو إلا أن ولَّى الغلامُ بها اليه ؟ فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأرَه بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعَمْرك ، ما خافت أمُّك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إلى، ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام :ويقال :إن الغلام ابنُها. قال ابن اسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخُبَيْب ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تَدَعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طَوَّلت جزعا من القتل لأستكثرتُ من الصلاةِ. قال : فكان خُبَيْب بن عَدي

اول من سَنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين[135] . قـال : ثـم رفعوه على خشبةٍ ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنا قد بلَّغنا رسالةَ رسولك ، فبلِّغه الغَداةَ ما يُصنَع بنا، ثم قـال : اللهـم أحْصِـهم عـددا، وأقتلهـم بـدَدا[136] ، ولا تغادرْ منهم أحدا. ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضـره مـع أبـي سفيان ، فلقد رأيته يلقينـي إلـى الأرض فَرَقـا مـن دعـوة خُبَيْـب ، وكـانوا يقولون : أن الرجل إذا دُعيَ عليه ، فاضَطجع لجنبه زالت عنه . قـال ابـن اسحاق : حدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيـه عبـاد، عـن عقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خُبَيْبا، لأنـى كنـت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة، أخا بني عبد الدار، أخذ الحربـة فجعلهـا في يدي ثم أخذ بيدى وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن اسحاق : وحدثني بعضُ أصحابنا، قال : كان عمر بن الخطـاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عـامر بـن جِـذْيَم الجُمحـى علـى بعـض الشام ، فكانت تصيبه غَشْيَة، وهو بين ظَهْرَي القوم ، فذُكر ذلك لعمربـن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قَدْمَةٍ قدمها عليه ، فقال : يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال . والله يا أميـر المـؤمنين مـا بى من بأس ، ولكنى كنتُ فيمن حضر خبَيْب بن عدي حين

---

[135] وقد صار فعل خبيب سُنة حسـنة والسـنة إنمـا هـى أقـوال مـن النبي صلى الله عليه وسلم وأفعال وإقرار، لأنه فعلهـا فـي حيـاته عليـه السلام ، فاستحسن ذلك من فعله ، واستحسنه المعلمون ،
مع أن الصلاة خير ما ختم به عمل العبد، وقد صلى هـاتين الركعـتين أيضا زيد
ابن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في حياته عليه السلام .

[136] بددا: متفرقين.

قُتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس ، قط الأغشي على،فزادته عندعمرخيرا. قال ابن هشام : أقام خُبَيْب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

ما نزل في سرية الرجيع من القرآن : قال ابن اسحاق : وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية، كما حدثني مولى لآل زيد ابن ثابت ، عن عِكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس . قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع ، قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المقتولين الذي هلكوا لا هم قعدوا في أهليهم ، ولا هم أدَّوْا رسالة صاحبهم ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي اصابهم . فقال سبحانه : {وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }: أي لما يظهر من الإسلام بلسانه ، وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، {وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ }[137] [البقرة: 204]: أي ذو جدال إذا كلمك واجعك .

قال ابن هشام : الألد: الذي يشغب ، فتشتد خصومته ، وجمعه : لُدّ، وفي كتاب الله عز وجل { وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } [مريم: 97]. وقال المهلهل

---

[137] وأكثر أهل التفسير على أنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي ، رواه أبو مالك
عن ابن عباس ، وقاله مجاهد، وقال ابن الكلبى : كنت بمكة، فسُئلت عن هذه الاية
فقلت : نزلت في الأخنس بن شريق ، فسمعني رجل من ولده ، فقال لي: يا هذا
إنما أنزل القرآن على أهل مكة، فلا تسم أحدا ما دمت فيها.

ابن ربيعة التغلبى، واسمه امرؤ القيس ، ويقال : عدي[138] بن ربيعة :

إن تحتَ الأحجارِ حدّا ولينـا وخصيما ألدَّ ذا مِعْلاقِ[139]

ويروى " ذا مغلاق " فيما قال ابن هشام . وهـذا الـبيت فـي قصـيدة لـه ، وهو الألندد.

قال الطرمَّاح بن حكيم الطائي يصف الحرباء:

يُوفي على جِذْمِ الجُذول كأنـه خَصْتم ابرَّ على الخصومِ ألَدِّ[140]

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن اسحاق : قال تعـالى :{ وَإِذَا تَـوَلَّى }: أي خـرج مـن عنـدك ، { سَـعَى فِـي الْأَرْضِ لِيُفْسِـدَ فِيهَـا وَيُهْلِـكَ الْحَـرْثَ وَالنَّسْـلَ وَاللـه لَا يُحِـبُّ الْفَسَادَ } [البقرة: 205] أي لا يحب عملـه ولا يرضـاه .{ وَإِذَا قِيـلَ لَـهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ. وَمِنْ النَّاسِ مَـنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللـه وَاللـه رَءُوفٌ بِالْعِبَـادِ } [البقـرة: 206، 207]. أي قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد وفي سبيله والقيـام بحقـه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعني تلك السرية .

قال ابن هشام : يشري نفسه : يبيع نفسه ، وشروا: باعوا. قال يزيد ابـن ربيعة بن مُفرّغ الحميري :

وشَريتُ بُرْدا ليتنـــى من بعدِ بُرْد كنتُ هامهْ

---

[138] هو عدي حقيقة: فقد صرح مهلهل باسمه في القصيدة فقال :

ضربَتْ صدرَها اليَّ وقالت يا عَديّا لقد وقتك الأواقي

[139] المعلاق : ويروى: مغلاق بالغين المعجمة، والمعلاق : اللسان ، وأما المغلاق بالغين معجمة، فالقول الذي يغلق فم الخصم ويسكته .

[140] يوفى: يشرف . الجذم : القطعة. الجذول : الأصول .

برد: غلام له باعه . وهذا البيت في قصيدة له . وشَرى أيضا: اشترى .
قال الشاعر:
فقلت لها لا تجزعي أمَّ مالـــكٍ   على ابنيْك إنْ عبدٌ لئيتم شراهما

شعر خبيب قبل صلبه : قال ابن اسحاق : وكان ممـا قيـل فـي ذلـك مـن الشعر، قول خُبَيْب بن عَدي ، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه :
قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له :
لقد جمع الأحزابُ حولي وألَّبــوا   قبائلَهم واستجمعوا كُلَّ مَجْمَـــع
وكلُّهمُ مُبدي العداوةِ جاهـــد   عليَّ لأنى في وِثاقٍ بمَضْيَعُ
وقد جمعوا أبناءَهم ونساءَهـــم   وقُربتُ من جذعٍ طويلٍ ممنَّـــع
إلى الله اشكو غربتى ثم كُربتــي   وما أرصَدَالأحزابُ لي عند مصـــرعى
فذا العرش صبرْني على ما يُراد بي   فقد بضَّعوا لحمى وقد يـــاسَ مطمَعـــي[141]
وذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإن يشـــا   يبارِكْ على أوْصالٍ شِلْوٍ ممـــزَّعِ[142]
وقد خيرونى الكفر والموت دونــه   وقد هملت عيناي من غَير مجـــزع
وما بي حذار الموت ، إني لميــت   ولكن حذاري جحم نار ملفـــع[143]
فوالله ما أرجو إذا مِتُّ مسلمـــا   على أيِّ جنبٍ كان في اللـــــه مصـــرعي
فلستُ بمبدٍ للعدوِّ تخشُّعـــا   ولا جَزَعا إني إلى الله مَرْجِعى
حسان يرثي خبيبا: وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا.
ما بالُ عينك لا ترْقا مدامعُهـــا   سحاعلى الصدرِمثلَ اللؤلؤِالقَلِـــق[144]

---

[141] ياس : يأس .
[142] الشلو: بقية الشيء .
[143] الملفع : المشتمل .
[144] القلق : المتحرك.

على خُبيبٍ فتىالفتيانِ قدعَلموا لافَشِلٍ حين تلقاه ولانَزِقِ
أذهبْ خبيبُ جزاك الله طيبةً وجنةَ الخلد عندَ الحور في الرُّفـــــــــــــــــــــــــــــق[145]
ماذا تقولون ان قال النبىُّ لكـم حين الملائكة الأبرار في الأفـــــــــــــــــــــــــــــقِ
فيمَ قتلتم شهيدَ الله في رجـلٍ طاغ قد اوعث في البلـــــــــــــــــدانِ والرُّفَـــــــــــــــــقِ[146]

قال ابن هشام : ويروي : الطرق . وتركنا ما بقى منها، لأنـه أقـذع فيهـا.

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى خبيبا:

يا عين جُودى بدمعٍ منك منسَكبٍ وابكى خُبَيْبامع الفتيان لم يَـــــــــــــــــــــــــــــؤُبِ
صقرا توسّط فىالأنصارِ منصِبُه سَمْحَ السجيةِ مَحْضاغيرمُؤتشِــــــــــــــــــــبِ[147]
هاج عينى على عِلاتِ عَبْرتها إذ قيل نُص إلى جِذْعٍ ،من الخشـــــــــــــــــــــــبِ[148]
ياأيها الراكب الغادى لطيته أبلغ لديك وعيدا ليس بالكـــــــــــــــــــــــذب[149]
بني كُهيْبَة أن الحرب قد لَقِحَتْ محلوبُها الصَّابُ إذ تُمْرَى لمحتلِــــــــــــــــــــــب[150]
فيها أسودُ بني النجارِ تَقْدُمُهمْ شُهبُ الأسنةِ في مُعْصَوْصَـــــــــــــــبٍ لَجِـــــــــــــــبِ[151]

---

[145] الرفق : جمع رفيق .

[146] أوعث : أفسد.

[147] المحض : الخالص . وغير مؤتشب : غير مختلط .

[148] نص : رفع .

[149] الطية: ما تنطوى عليه النية.

[150] جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، وهذا كما يقال : بنـي ضـوطرى وبني الغبراء وبني درزة قال الشاعر:

أولاد درزة أسلموك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يسب ، وعبارة عن السفلة من الناس ، وكهيبة من الكهبة وهى الغبرة، وهذا كما قالوا: بني الغبراء، وأكثر اشعار حسان في هذه القصة، قال فيها من هذيل ، لأنهم إخوة القارة، والمشاركون لهم في الغدر بخُبيب واصحابه ، وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن الياس وعضل والقارة من بني خزيمة.. . الروض الأنف من تحقيتنا ج 3، ص 237 .

[151] المعصوصب : الجيش الكبير.

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التي قبلها، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما احسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خُبيب لما ذكرت .

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا:

لو كان في الدارِ قَرْتم ماجد بطل ... ألْوى من القومِ صقر خالُه أنس[152]

اذن وجدت خُبيبا مجلسا فَسِحا ... ولم يُشَدّ عليك السجنُ والحرَسُ

ولم تَسُقْكَ إلى التنعيمِ زِعنفَةٌ ... من القبائلِ منهم من نَفتْ عُدَسُ[153]

دلَّوْك غدرا وهم فيها أولو خُلُفٍ ... وأنت ضَيْتم لها في الدارِ مُحتَبسُ[154]

قال ابن هشام : أنس : الأصم السُّلمي : خال مُطْعِم بن عَدي بن نَوْفل بن عبد مناف . وقوله " من نفت عُدَس " يعنى حُجَيْر بن أبي اهاب . ويقال : الأعشى بن زُرارة بن النبَّاش الأسدي وكان حليفا لبني نوفل بن عبد مناف .

من اجتمعوا لقتل خبيب : قال ابن اسحاق : وكان الذين أجلبوا على خُبيب في قتله حين قتل من قريش : عِكْرمة بن ابى جهل ، وسعيد

---

[152] ألوى: شديد الخصومة.

[153] من نفت عدس : يعني مجيد بن أبي اهاب بن عرين ، وهو ينتسب إلى بني عدس ابن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظة، ويقال : بل هو من بني ربيعة ابن مالك بن حنظلة، ومن هاهنا ذكر نفي بني عدس له ، من أجل الإختلاف في نسبه . وعُدس بضم الدال في تميم ، وهو هذا، وكل عَدس في العرب سواه فهو بفتح الدال ، وهو من عدس في الأرض إذا ذهب فيها، والله أعلم ، فمن المفتوح الدال عدس بن عبيد في الأنصار، ثم في بني النجار، وهو جد أبي أمامة أسعد ابن زرارة وقد قال بعض النسابين في عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم الذي تقدم ذكره : عدس بفتح الدال ، والأول أعرف وأشهر. والزعنفة: الذين ليسوا خلصا في القبائل بل المنتمين اليها. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر وعلى ذيلها الإستيعاب في معرفة الأصحاب - تصدر قريبا من تحقيقنا.

[154] دلوك : غروك .

ابن عبدالله بن أبي قيس بن عبد وُد، والأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة، وعُبَيْدة بن حَكيم بن أمية بن حارثة بن الأوْقص السُّلمي ، حليف بني امية بن عبد شمس وأمية بن أبي عُتبة، وبنو الحضرمى .

حسان يهجو هذيل لقتلهم خبيبا: وقال حسان أيضا يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب بن عدى:

أبلغ بني عمرو بأن أخاهُم شَراهُ امرؤ قد كان للغدرِ لازمَا[155]

شراه زُهير بنُ لأغَرِّ وجامعٌ وكانا جميعا يركبان المَحارمَا

أجرتُم فلما أن أجرتم غدرتم وكنتم بأكتافِ الرجيعِ لَهَاذِمَا[156]

فليت خُبَيْبا لم تخنْه أمانة وليت خُبيبا كان بالقومِ عالمَا

قال ابن هشام : زهير بن الأغر وجامع الهذليان اللذان باعا خُبيبا.

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت ايضا:

انْ سرَّك الغدرُ صِرفا لا مِزاجَ له فاتِ الرجيعَ فسَلْ عن دارِ لِحْيانِ

قوم تواصَوْا بأكلِ الجارِ بينَهم فالكلبُ والقردُ والإنسانُ مِثلانِ

لو ينطق التيْسُ يوما قام يخطبُهم وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصارى قوله :

لو ينطق التيسُ يوما قال يخطبُهم وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شأن

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هُذَيلا:

---

[155] شراه : باعه .

[156] اللهاذم . السيوف القاطعة .

سالت هُذَيل رسولَ الله فاحشةً ضلتْ هُذيلٌ بماسالتْ ولم تُصِبِ[157]
سألوا رسولَهمُ ما ليس معطِيَهُم حتى الممات وكانوا سُبةَ العربِ
ولن ترى لهذيْل داعيا أبـدا يدعو لمَكرَمةٍ عن منزِلِ الحربِ
لقد أرادوا خلالَ الفُحْشِ وَيْحَهُمُ وأن يُحلوا حراماً كان في الكتبِ

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هُذَيلا:

لعَمْرِى لقد شانتْ هُذَيلَ بنَ مُدْرِكِ أحاديثُ كانت في خُبيبٍ وعاصم
أحاديثُ لحْيان صَلَوْا بقبيحِهـا ولحيان جَرَّامون شرِ الجرائم[158]
أناس هم من قومِهم في صميمِهـم بمنزلةِ الزِّمْعانِ دُبْرُ القوادم[159]
همُ غدروا يومَ الرجيعِ وأسلمـتْ أمانتُهم ذا عفةٍ ومكارَمِ
رسولَ رسولِ الله غدرا ولم تكن هُذيل تَوَقَّى مُنكراتِ المحارمِ
فسوف يَرَوْن النصرَ يوما عليهمُ بقتلِ الذي تَحميه دونَ الحرائم[160]
أبابيلُ دَبْر شُمُّسٍ دونَ لحمِــه حمتْ لحمَ شَهَّادٍ عِظَامَ الملاحمِ
لعل هذيلا إن يَرَوْا بمصَابِــه مصارعَ قتلَى أو مَقاما لمأتمِ
ونوقع فيهم وقعةً ذاتَ صَوْلَـةٍ يُوافِى بها الركبانُ أهلَ المواسمِ
بأمرِ رسولِ الله أن رسولَــه رأى رأيَ ذي حَزْمٍ بلحْيانَ عالمِ

---

157 سالت : ليس على تسهيل الهمزة في سالت ، ولكنها لغة بدليل قولهم : تسايل القوم ،
ولو كان تسهيلا، لكانت الهمزة بين بين ، ولم يستقم وزن الشعر بها، لأنها كالمتحركة،
وقد تقلب ألفا ساكنة كما قالوا: المنساة في المنسأة، ولكنه شيء لا يقاس عليه ،
وإذا كانت سال لغة في سأل فيلزم أن يكون المضارع يسيل ، ولكن قد حكي
يونس : سلت تسال مثل خفت تخاف ، وهو عنده من ذوات الواو، وقال الزجاج :
الرجلان يتسايلان ، وقال النحاس والمبرد: يتساولان ، وهو مثل ما حكى يونس .

158 صلوا بقبيحها: أصابهم شرها. جرامون : كسابون .

159 الزمعان : جمع زمعة، شعرة مدلاة في مؤخر رجل الشاة أو غيرها. والدبر: الخلف .

160 يريد عاصم بن الأقلح فقد حمته الزنابير.

قُبَيِّلَة ليس الوفاءُ يهمهـــم وان ظُلموا لم يدفعوا كف ظالمِ
إذا الناسُ حَلُّوا بالقضاءِ رأيتَهم بمجرى مَسيلِ الماءِ بينَ المخــــــــارِم[161]
مَحَلُّهمُ دارُ البوارِ ورأيهــم إذا نابهم أمرٌ كرأيِ البَهائم

وقال حسان بن ثابت يهجو هُذيلا:

لحَاالله لِحْيانا فليست دماؤهم لنا من قَتيلَيْ غُدْرةٍ بوفاءِ
هُموُ قتلوا يومَ الرجيع ابنَ حُرةٍ أخا ثِقةٍ في وُدِّه وَصَفاء
فلو قُتلوا يومَ الرجيع باسرِهم بذي الدَّبْرِ ما كانوا له بكِفاءِ[162]
قتيلٌ حمته الدَّبْرُ بينَ بيوتِهم لدَى أهْلِ كفرِظاهر وجفاءِ
فقد قتلتْ لحيانُ أكرمَ منهمُ وباعوا خُبيبا ويْلَهم بِلِفَاءِ[163]
فأفّ للحيانٍ على كلِّ حاله على ذكرِهم في الذكْرِ كل عفــــــاءِ[164]
قُبَيِّلَةٌ باللؤمِ والغدرِ تغتري فلم تُمْسَ يَخْفى لؤمُها بخفاءِ[165]
فلو قُتلوا لمَ توف منه دماؤهم بلى ان قتلَ القاتليه شِفائي
فإلا أمُت أذْعر هُذيلا بغارةٍ كغادِي الجَهامِ المغتدِي بإفاءِ[166]
بأمرِ رسولِ الله والأمرُ أمرُه يبيت للحيانَ الخَنَا بفَناءِ
يُصبِّح قوما بالرجيعِ كانهم جِداء شِتاء بِتْنَ غيرَدِفاءِ[167]

وقال حسان بن ثابت ايضا يهجو هذيلا:

فلا والله ، ما تدري هُذَيل أصافٍ ماءُ زمزم أم مَشوبُ

---

[161] المخارم : مسايل الماء.

[162] ذو الدبر: هو عاصم بن الأقلح .

[163] اللفاء: الشىء الحقير.

[164] العفاء : التغير .

[165] تغتري : يغري بعضها بعضا.

[166] الغادي : المبكر. الجهام : السحاب القليل . والإفاء: الغنيمة .

[167] جداء: جمع جدى.

ولا لهمُ إذا اعتمروا وحَجُّوا - من الحجرين والمسعَى - نصيب
ولكنَّ الرجيعَ لهم مَحــل به اللؤمُ المُبَيّنُ والعُيوبُ
كأنهم لدى الكنّاتِ أصـلا تُيوسٌ بالحجازِ لها نَبيبُ[168]
همُ غروا بذمتِهم خُبيبــا فبئسَ العهدُ عهدُهم الكذوبُ
قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبي زيد الأنصاري .
حسان يرثي خبيبا وأصحابه : قال ابن اسـحاق : وقـال حسـان ابـن ثـابت يبكى خبيبا وأصحابه :
صلى الإلهُ على الذين تتابعوا يومَ الرجيعِ فأكرموا وأثيبوا
رأس السريةِ مَرْثَد وأميرهم وابن البُكَيْرِ أمامهم وخبيب[169]
وابن لطارق وابنُ دَثْنَةَ منهمُ وافاه ثَمَّ حِمامُه المكتوبُ[170]
والعاصم المقتول عندَ رجيعِهم كسَبَ المعالي انه لكَسُـــوبُ
منع المَقادةَ أن ينالوا ظهرَه حتى يُجالدَ إنه لنجيبُ
قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدّل إنه لنجيب .
قال ابن هشام : وأكثر اهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

---

[168] الكنان : جمع كنة. والأصل : جمع اصيل ، وهو العشي . النبيب : الصوت .

[169] خبيب : أردف حرف الروي بياء مفتوح ما قبلها، ضرورة وخبيب في اللغة تصغير خب ، وهو الماكر مـن الرجـال الخـداع ، ويجـوز أن يكـون تصغير خاب من الخبيب ، فيكون من باب تصغير الـترخيم ، وهـو الـذي ينبني على حذف الزوائـد، وأمـا هـذيل فقـالوا فيـه : أنـه مصـغر تصـغير الترخيم ، لأنه هرذل الرجل ببـوله إذا باعـد بـه ، فكـانه تصـغير مهـوذل على حذف الزوائد، ويجوز أن يكون تصغير هذلول ، وهو التل الصغير من الرمل على تصغير الترخيم أيضا.

[170] ابن دثنة منهم : هنا حذف التنوين لعدم التباسه بالمضاف إلى المتكلم .

حديث بئر معونة
في صفر سنة أربع

قال ابن اسحاق : فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيةَ شوال وذا القعدة وذا الحجة وولى تلك الحجة المشركون والمحـرم - ثـم بعـث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَ بئر معونة في صفر، على رأس أربعة اشهر من أحد.

سبب ارسال بعث بئر معونة : وكان مـن حـديثهم ، كمـا حـدثني أبـي : اسحاق بن يسار، عن المغيرة بن عبد الرحمـن بـن الحـارث بـن هشـام ، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيره من أهل العلم ، قالوا: قدم أبو بَراء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعب الأسنَّة[171] على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فعرض عليـه رسـولُ اللـه صـلى اللـه عليه وسلم الإسلام ، ودعاه اليه ، فلم يُسْلم ولم يَبْعُدْ من الإسلام ، وقال : يا محمدُ، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نَجْد، فدعوهم إلى أمـرك ، رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : إنـى اخشى عليهم أهلَ نجد، قـال أبـو بَـراء: أنـا لهـم جـارٌ ، فـابعثهم فليـدعوا الناسَ إلى أمرك .

---

[171] وهو عامر بن مالك بن جعفـر بـن كلاب بـن ربيعـة بـن صعصـعة، سمى ملاعب الأسنة في يوم سوبان ، وهو يوم كـانت فيـه وقيعـة فـي أيام جبلة، وهى أيام حرب كانت
بين قيس وتميم ، وجبلة اسم لهضبة عالية . وكان سبب تسميته فـي يوم سوبان ملاعب الأسنة أن اخاه الذي يقال لـه فـارس قـرزل ، وهـو طفيل بن مالك ، كان
أسلمه في ذلك اليوم ، وفر فقال عامر:
فررت وأسلمت ابن أمك عامرا يلاعب أطراف الوشيج المزعزع
فسمى ملاعب الأسنة، وملاعب الرماح .

من رجال البعث : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنـذِر بـن عَمرو، أخا بني ساعدة، المُعْنِقُ ليموت[172] في أربعين رجلا[173] من أصـحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصِّمَّة، وحرام بن مِلْحـان اخـو بني عَدي بن النجار، وعُروة بن أسماء بـن الصـلْت السُّـلَمي ، ونـافع ابـن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعى، وعامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكـر الصـديق ، فـي رجال مُسَمَيْن من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهـي بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيم ، كلا البلدين منها قريب ، وهـي إلـى حَرَّة بني سُلَيم أقرب

غدر عامر بالبعث : فلما نزلوها بعثوا حرام بـن مِلْحـان بكتـاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفَيل ، فلمـا أتـاه لـم ينظر في كتابه حتى عدا علـى الرجـل فقتلـه ، ثـم استصـرخ عليهـم بنـي عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم اليه ، وقالوا: لـن نُخْفِـرَ[174] أبـا بَـراء، وقد عقد لهم عقدا وجوارا، فاستصرخ عليهم قبائـل مـن بنـي سُـلَيم مـن عُصيَّة ورِعْل وذَكوان ، فأجابوه إلى ذلـك ، فخرجـوا حـتى غَشُـوا القـومَ ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حـتى قُتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، الا كعبَ بن زيد، أخا بنـي دينـار ابـن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق الموت ، فارتُث[175] من بين القتلـى، فعـاش حتى قُتل يوم الخندق شهيدا، رحمه الله .

وكان في سَرْح القوم عمرو بن أميـة الضَّـمْري ، ورجـل مـن الأنصـار، أحد بني عمرو بن عوف .

---

[172] لقب لقب به لأنه أسرع إلى الموت .

[173] والصحيح أنهم كانوا سبعين ، كذا وقع في صحيح البخاري ومسلم . وأنظر لنا مفاتيح القارى لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخارى .

[174] الأخفار: نقض العهد.

[175] أى رفع من بين القتلى وفيه رمق .

قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عُقبة بن أحَيْحة بن الجُلاح .
قال ابن اسحاق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلاالطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأنا، فاقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن امية : ما ترى؟ قال : أرى أن . نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فنخبره الخبر، فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ لتخبرني عنه الرجال . ثم قاتل القوم حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسير.، فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .
ثأر عمرو بن أمية من العامر : فخرج عَمرو بن أمية، حتى إذا كان بالقَرْقَرة من صدْر قَناة[176] ، أقبل رجلان من بني عامر. قال ابن هشام : ثم من بني كلاب ، وذكر أبو عَمرو المدني أنهما من بني سُليم .
قال ابن اسحاق : حتى نزلا معه في ظل هو فيه . وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار، لم يعلم به عمرو بن أمية، وقد سالهم حين نزلا، ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فامهلهما، حتي إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرة من بني عامر، فيما اصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر؟ قال رسول الله صلى: لقد قتلت قتيلين لأدِيَنَّهما؟

[176] مكان قريب من المدينة .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هـذا عمـل أبـي بَـراء، قـد كنت لهذا كارها متخوفا. فبلغ ذلك أبا براء، فشق عليه أخفار عـامر إيـاه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بسـببه وجـوارِه ، وكان فيمن أصيب عامر ابن فُهَيْرة .

قال ابن اسحاق : فحدثني هشام بن عروة، عـن أبيـه : أن عـامر ابـن الطّفَيْل كان يقـول : مـن رجـل منهـم لمـا قُتـل رأيتـه رُفـع بيـن السـماء والأرض ، حتى رأيتُ السماءَ من دونه قالوا. هو عامر بن فُهَيْرة[177] .

سبب إسلام جبار بن سلمى: قال ابن اسحاق : وقد حدثني بعض بنـي جَبَّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر، قال - وكان جبار فيمن حضرها يومئـذ مع عامر ثم أسلم - قال فكان يقول : إن ممـا دعـاني إلـى الإسـلام أنـى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بيـن كتفيـه ، فنظـرت إلـى سِـنان الرمـح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزتُ والله ! فقلت فـي نفسـى : ما فاز! ألستُ قد قتلتُ الرجلَ ؟! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قـوله ، فقالوا: للشهادة، فقلت : فاز لعَمْر الله .

شعر حسان في تحريض بني براء على عامر بن الطفيل :

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بنـي بـراء علـى عـامر ابن الطُّفَيل :

بني أمِّ البنين ألم يَرُعْكـم وأنتم من . ذوائبِ أهلِ نجدِ[178]

---

[177] هذه رواية البكائي عن ابن اسحاق ، وروى يونس بن بكير عنـه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المـدينه بعـد ذلـك ، وقـال للنـبى عليه السلام : من رجل يا محمد

لما طعنته رُفع إلى السماء؟ فقال : هو عامر بن فُهيـرة، وروى عبـد الرزاق وابن المبارك

أن عامر بن فهيرة التُمس في القتلى يومئذ، ففقد، فيرون إن الملائكة رفعته او دفنته .

[178] أم البنين :هي ليلى بنت عامرالتى يذكرها لبيد في قوله :

"نحن بني أم البنين الأربعة

ولم يكونوا أربعة بل كانوا أخوة خمسـة: طفيـل فـارس قـرزل ، وعـامر ملاعب الأسنة وربيعة المقترين وهو والد لبيد، وعبيدة الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذي يقول

إذا سقط السماءُ بارضِ قومٍ رعيناه وإن كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول :

يعوذ مثلها الحكماء بعدى إذا ما الأمر في الحدثان نابا

وبهذا البيت سمي معوذ الحكماء.

وإياهم عنَى لبيد حين قال بين يدي النعمان بن المنذر:

نحن بني أم البنين الأربعه المطعمون الجفنة المدعدعه

والضاربون الهام تحت الخيضعه يا رب هيجا هى خير من دعه

وإنما قال : الأربعة، وهم خمسة، لأن ابا ربيعة قد كان مات قبل ذلـك ، لا كما

قال بعض النحويين إنه قال إنما قال أربعة، ولم يقل خمسـة مـن أجـل القوافى، فيقال :

لا يجوز للشاعر أن يلحن لاقامة وزن الشـعر فكيـف بـأن يكـذب لإقامـة الوزن ، وأعجب

من هذا أنه أستشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46] وقال . أراد جنة واحدة،

تهكمُ عامر بأبى بَـــرَاءٍ ليُخْفِرَه وما خدا كعمدِ
ألا أبلِغْ ربيعةَ ذا المساعى فما احدثْتَ في الحَدَثان بعدي
أبوك أبو الحروبِ أبو بَرَاءٍ وخالُك ماجدٌ حَكَمُ بنُ سَعْدِ

قال ابن هشام : حكم بن سعد: من القَيْـن بـن جَسْـر، وأم البنيـن : بنـت عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي أم أبي براء.

طعن ربيعة عامرا: قال ابن اسحاق : فحمـل ربيعـةُ بـن عـامر بـن مالـك على عامر بن الطُّفَيل ؛ فطعنه بالرمح ، فوقع في فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبي بَراء، إن أمتْ فدمى لعمـي ، فلا يُتْبَعَـنَّ به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أتِىَ إليَّ .

وقال أنس بن عباس السلمى، وكان خال طُعَيمة بن عَدي بن

وجاء بلفظ التثنية، لتنفق رءوس الآي . وهذا من العجب العجاب .

نوفل ، وقَتل يومئذ نافعَ بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعى :

تركت ابنَ ورقاءَ الخزاعى ثاويا بمعتَرَك تَسْفِي عليه الأعاصرُ
ذكرتُ أبا الريان لما رايتُــه وايقنتُ أنى عند ذلك ثائرُ[179]

وأبو الريان : طُعَيْمة بن عدي .

عبدالله بن رواحة يرثي نافع بن بديل : وقال عبدالله بن رَوَاحة يبكى نافع بن بُدَيْل بن وَرْقاء:

رحم الله نافعَ بنَ بُدَيْـلٍ رحمةَ المبتغي ثوابَ الجهادِ
صابر صادق وفي إذا ما أكثر القومُ قال قولَ السِّدادِ

رثاء حسان قتلى بئر معونة : وقال حسان بن ثابت يرثى قتلى بئر مَعُونة، ويخص المنذر بن عمرو:

على قتلى معونةَ فاستهلِّـي بدمعِ العينِ سَحًّا غيرَ نَزْرِ
على خيلِ الرسولِ غَداةَ لاقوا مناياهم ولاقتهمْ بقَدْرِ
أصابهم الفناءُ بعقْدِ قــومٍ تُخُوّن عقدُ حبلهم بغَدْرِ
فيا لهفي لمنذرِ إذ تولَّــى وأعنقَ في مَنيَّته بصبرِ[180]
وكائن قد اصيبَ غَداةَ ذاكُـمْ من أبيضَ ماجدٍ من سِرِّعمرو

قال ابن هشام : أنشدني آخرها بيتا أبو زيد الأنصاري .

---

[179] وقع في نسخة أبا الزيان ، وفى رواية إبراهيم بن سعد: أبا الريان بالراء المهملة، وبالياء أخت الواو، وهكذا ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف كما في رواية إبراهيم بن سعد. وهو ما اثبتناه .

[180] أعنق : أ سرع .

شعر كعب بن مالك في بئر معونة: وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بئر معونة، يعيِّر بني جعفر بن كلاب :

تركتم جارَكم لبني سُلَيمٍ مخافةَ حربِهم عَجْزا وهُونَا
فلو حبلاتناولَ من عُقَيْلٍ لمد بحبلِها حبلامتينَا[181]
أو القُرَطاء ما أن اسلموه وقِدْما ما وَفَوْا اذ لا تَفُونا[182]

قال ابن هشام : القرطاء: قبيلة من هَوَازن ، فيُروى " من نُفَيل ! مكـان " من عقيل " وهو الصحيح : لأن القرطاء من نُفَيل قريب .

أمر إجلاء بني النضير
في سنة أربع[183]

محاولتهم الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم: قال ابن اسحاق : ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النَّضِير يسـتعينهم فـي دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قَتـل عَمـرو بـن اميـة الضَّـمْري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما، كما حـدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عَقد وحلف . فلمـا أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين ، قالوا: نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببتَ ، مما استعنت بنا عليـه . ثم خلا بعضُهم ببعض ، فقالوا: إنكم

---

[181] يريد بالحبل : العهد.

[182] القرطاء: هم بنو قرط وقَريط وقُريط ، وهم أبطن من بني عامر ثم من بني كلاب .

[183] ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة في هذا الموضع ، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر، لما روى عقيل بن خالـد وغيـره عـن الزهـري ، قـال : كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أ شهر.

لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمَنْ رجلٌ يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة، فيريحنا منه فانتَدَب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، رضوان الله عليهم .

علمه صلى الله عليه وسلم بغدرهم واستعداده لحربهم : فاتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة . فلما استلبث النبيَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه : فقال : رايته داخلا المدينة . فاقبل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا اليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

قال ابن هشام : وإستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن اسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

تاريخ غزو بين النضير: قال ابن هشام : وذلك في شهر ربيع الأول ، فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر.

قال ابن اسحاق : فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه : أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها[184]

---

[184] قال أهل التاويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ [الحشر: 5] . واللينة ألوان التمرما عدا العجوة والبرني ، ففي هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم إلاما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة . وقال تعالى لينة ولم يقل : من نخلة

على العموم : تنبيها على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو إذا رجى أن يصير إلى المسلمين .

الرهط الذي شجع بني النضير ثم طلبهم الصلح وهجرتهم :

وقد كان رهط من بني عَوْف بن الخزرج ، منهم عدو الله عبدالله ابن أبي ابن سلول ، ووديعة ومالك بن أبي قوقل ، وسُوَيْد وداعِس ، قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نُسلمَكم ، إن قُوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلاالحلْقة[185] ، ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجافِ[186] بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

من هاجر إلى خيبر: فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سلام بن أبي الحُقَيْق ، وكِنانة بن أبي الحُقَيق ، وحَيىّ بن أخطب فلما نزلوها دان بهم أهلها.

قال ابن اسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر أنه حُدث : أنهم استقلوا بالنساء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يَعْزفن خلفَهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عُروة بن الوَرْد العَبْسى، التي ابتاعوا منه ،

---

[185] الحلقة : السلاح .

[186] النجاف : عتبة الباب العليا.

وكانت إحدى نساء بني غِفار[187]، بزهاء وفخر ما رُئى مثله من حي من الناس في زمانهم .

الرسول يقسم أموال بني النضير: وخلَّوا الأموالَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً، يضعها حيثُ يشاء، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلاأن سهلَ ابن حُنَيف وأبا دُجانة سِمَاك بن خَرَشة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أسلم من بني النضير: ولم يسلم من بني النضير إلارجلان : يامينُ بنُ عُمَيْر، أبو كعب بن عمرو بن جِحاش ، وأبو سعد بن وهب ، - أسلما على أموالهما فاحرزاها.

قال ابن اسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك ، وما هَمَّ به من شأنى فجعل يامين بن عمير لرجلٍ جُعْلا على أن يقتل له عمرو بن جِحاش، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل في بني النضير من القرآن : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ

---

[187] لم يذكر اسمها في رواية البكائي عنه ، وذكره في غيرها، وهي سلمى قال الأصمعى :
اسمها ليلى بنت شعواء، وقال أبو الفرج : هي سلمى أم وهب إمرأة من كنانة، كانت ناكحا في مزينة، فأغار عليهم عروة بن الورد، فسباها، وذكر الحديث ، وقول أبي الفرج أنها من كنانة لا يدفع قول ابن اسحاق أنها من غفار، لأن غفار من كنانة. غفار بن مليل بن ضميرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

الْحَشْرِ[188] مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ اللـه فَأَتَاهُمُ اللهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ[189] بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ }، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُفِ أبوابهم إذ احتملوها {فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ. وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ الله عَلَيْهِمْ الْجَلَاءَ } [الحشر: 2،3] وكان لهم من الله نقمة، {لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا } : أي بالسيف ، {وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ } [الحشر: 3] مع ذلك { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا }. واللينة : ما خالف العجوة من النخل {فَبِإِذْنِ الله } : أي فبامر الله قُطعت ، لم يكن فسادا، ولكن كان نقمة من الله { وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر: 5]. قال ابن هشام : اللينة : من الألوان ، وهى ما لم تكن بَرْنية، ولا عجوة من النخل ، فيما حدثنا أبو عُبيدة : قال ذو الرُّمَّة :

كان قُتُودي فوقها عُشٌّ طائر على لينةٍ سَوْقاءَ تهفو جُنُوبُها[190]

وهذا البيت في قصيدة له .

---

[188] وقوله تعالى : لِأَوَّلِ الْحَشْرِ،[الحشر: 2] روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد؟ قال : إلى الحشر، يعني : أرض المحشر، وهي الشام ، وقيل : إنهم كانوا
من سبط لم يصبهم جلاء قبلها، فلذلك قال : لأول الحشر، والحشر: الجلاء، وقيل أن الحشر الثاني ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبيت معهم ، حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف ، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها، والزائد عليها، فإن قوله : لِأَوَّلِ الْحَشْرِ يؤذن أن ثَمَّ حشرا آخر، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا، وذلك حين بلغه التثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يبقين دينان بأرض العرب ".

[189] وقوله سبحانه : يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ أي يخربونها من داخل والمؤمنون من خارج ، وقيل معنى بأيديهم : بما كسبت أيديهم من نقض العهد، وأيدى المؤمنين ، أي بجهادهم .

[190] القتود: الرجل مع أدواته . السوقاء: عظيمة الساق . والجنوب : النواحى .

﴿وَمَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ - ق ال ابـن إسـحاق : يعنـي مـن بنـي النضير[191] ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِـنَّ اللـه يُسَـلِّطُ رُسُـلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6] : أي له خاصة .
قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم في. السير. قال تميم بن أبي بن مُقْبِل أحد بني عامر بن صعصعة:

مذاويدُ بالبيض الحديثِ صِقالها عن الركبِ أحيانا إذا الركـــــــــــــــــــــــــبُ أوجفـــــــــــــــــــــــــوا[192]

وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الوجيف . وقال أبو زبيد الطائى، واسمه حرملة بن المنذر:

مُسْنفات كانهن قَنا الهنـ ـدِ لطولِ الوجيفِ جَدْبَ المَرُودِ[193]

وهـذا الـبيت فـي قصـيدة لـه : ، قـال ابـن هشـام : السَّـناف : البطـان . والوجيف : وجيف القلب والكبد، وهو الضَّربان .
قال قيس بن الخَطيم الظَّفَري :

إنا وإن قَدَّموا التي علمــوا أكبادُنا من ورائِهم تَجِفُ

وهذا البيت في قصيدة له .

---

[191] روى عن مالك أنه قال : هم بنو قريظة، وأهـل التاويـل علـى أنهـا عامة في جميع
القرى المفتتحة على المسلمين وإن اختلفوا في حكمها، فرأى قوم قسمها كما تقسم الغنائم ، ورأى بعضهم للإمام أن يقفها.
[192] المذاويد: المدافعون عن قومهم ، والبيض : السيوف .
[193] مسنفات : مشدودات بالأحزمة. والمرود: الموضع الذي يطلب فيه المرعى .

﴿مَا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ قال ابن اسحاق : ما يُوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفتح بالحرب عُنوة فلله وللرسولَ ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7] يقول : هذا قَسْم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعنى عبدالله بن أبي واصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الحشر: 11]: يعنى بني النضير، إلى قوله ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: 15] : يعنى بني قَيْنقاع .

ثم القصة . . إلى قوله : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ الْعَالَمِينَ . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: 16، 17].

ما قاله ابن لقيم العبسي من شعرفى بني النضير: وكان

مما قيل في بني النضير من الشعر قول ابن لُقَيْم العَبسي، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحرالأشجعى - فقال :

أهلى فداءٌ لإمرئٍ غيرِ هالكٍ أحلَّ اليهودَ بالحَسيِّ المُزَنَّمِ[194]

---

[194] يريد: أحلهم بأرض غربة، وفي غير عشائرهم ، والزنيم : الرجل يكون في القوم ، وليس منهم ، أي أنزلهم بمنزله الحسي ، أي المبعد الطريد، وإنما جعل الطريد الذليل حسيا

لأنه عرضة للأكل ، والحسى والحسو ما يُحسى من الطعام حسوا، أي أنه لا يمتنع

على آكل ، ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغذي من الغنم ، وهو الصغير الضعيف

الذي لا يستطيع الرعي ، يقال : بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم رذال وغذاء الغنم ،

والمزنم منه ، فهذا وجه يحتمل ، وقد أكثرت البحث عن الحسي في مظانه من اللغة فلم أجد نصا شافيا أكثر من قول أبي على : الحسية، والحسى ما يحسى من الطعام ، وإذا قد وجدنا الغذي واحد غذاء الغنم ، فالحسى في معناه غير ممتنع أن يقال :

والله أعلم . والمزنم ايضا: صغار الإبل ، وسائر هذا الشعر مع ما بعده من الأشعار

ليس فيه عويص من الغريب ، ولا مستغلق من الكلام - عن الروض الأنف من تحقيقنا.

يَقيلون في جمرِ الغضاةِ وبُدِّلوا أهَيْضِبُ غُودي بالوَدِيِّ المُكَمَّمِ[195]
فان يكُ ظني صادقا بمحمدٍ تَرَوْا خيلَه بين الصَّلا وَيَرمْرَمِ
يَؤُمُّ بها عمرو بن بُهْثَةَ أنهم عدو وما حَي صديق كمجرمِ
عليهن أبطال مساعيرُ في الوَغَى هزُّون أطرافَ الوشيجِ المقوَّمِ[196]

وكلَّ رقيقِ الشفرتين مُهنَّد تُوورِثْنَ من أزمانِ عادٍ وجُرْهُمِ
فمن مُبلغ عني قريشا رسالةً فهل بعدَهم في المجدِمن مُتَكَرَّمِ
بأن أخاكم فأعلمُنَّ محمدا تليدُالنَّدَى بين الحَجُون وزمزمِ[197]

فدينوا له بالحقِّ تَجْسُمْ أمورُكم وتَسْموا من الدنيا إلى كلِّ مُعْظَمِ
نبي تلاقتْه من الله رحمة ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مُرَجَّمِ[198]
فقد كان في بدرٍ لَعَمْرِي عِبرة لكم يا قريشا والقَليبِ الملمَّمِ
غداةَ أتى في الخزرَجيةِ عامدا إليكم مُطيعا للعظيمِ المُكرَّمِ
مُعَانا برُوح القدسِ يُنْكى عدوَّه رسولامن الرحمنِ حقا بمَعْلَمِ[199]
رسولا من الرحمنِ يتلو كتابَه فلما أنارَ الحقُّ لم يتلَعْثَمِ
أرى أمرَه يزدادُ في كلِّ موطنٍ عُلوَّاً لأمر حَمَّهُ الله مُحْكَمِ[200]

---

[195] الغضاة : الشجر. الأهيضب : المكان المرتفع . غودي : "اسم مكان . الودي المكمم : صغار النخل الذي خرج طلعه

[196] الوشيج : الرماح .

[197] الحجون : موضع في مكة .

[198] المرجم : غير المتيقن .

[199] المعلم : الموضع العالي .

[200] حمه : قدره .

قال ابن هشام : عمرو بن بهثة، من غطفان . وقوله " بالحسي المزنم "، عن غير ابن اسحاق .

ما ينسب من الشعر لعلي في قصة بني النضير: قال ابن اسحاق : وقال علي بن أبي طالب : يذكر اجلاءَ بني النضير، وقَتْلَ كعب بن الأشرف .

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب ، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلي :

عَرفْتُ ومن يعتدلْ يَعْــرفِ وأيقنتُ حقا ولم أصْدِفِ[201]
عن الكَلِمِ المُحْكَمِ الآيِ مـــن لدى الله ذي الرأفةِ الأرْافِ
رسائلُ تُدرسُ في المؤمنيــن بهنَّ أصطَفَى أحمدَ المصطفَي
فأصبح أحمدُ فينا عزيـــزا عزيزَ المقامةِ والمؤْقِفِ
فيأيها المُوعِدُوه سَفاهـــا ولم يأتِ جَوْرا ولم يَعْنُفِ
ألستم تخافون أدني العــذاب وما آمِنُ الله كالأخْوَفِ
وأن تُصرعوا تحتَ أسيافِــه كمصرعِ كعبِ أبي الأشرفِ
غداةَ رأى الله طغيانَـــه وأعرضَ كالجملَ الأجْنَفِ[202]
فأنزل جبريلَ في قتلِـــه بوَحْيً إلى عبدِه مُلْطَفِ
فدسَّ الرسولُ رسولا لـــه بأبيضَ ذى هَبَّةٍ مُرْهَفِ[203]
فباتت عيونٌ له مُعْــوِلاتٌ متى يُنْعَ كعب لها تَذْرِفِ[204]
وقلن لأحمدَ ذَرْنا قليـــلا فانا من النَّوْحِ لم نَشْتَفِ

---

[201] أصدف : أعرض .

[202] الأجنف : المائل إلى جهة .

[203] الأبيض : السيف . والهبة : الإهتزاز.

[204] المعولات : الباكيات والصارخات . تذرف : ذرفت العين ذرفا أي دمعت ، وذرف الدمع
سال ، وذرفت العين الدمع .

فخلاهُمُ ثم قال أظعَنــوا دُحورا على رغمِ الآنفِ[205]
وأجلى النضيرَ إلى غربةٍ وكانوا بدار ذوي زُخْرفِ
إلى أذْرعاتٍ رُدَافَى وهُمْ على كلِّ ذي دَبَر أعْجَفِ[206]

ما أجَابه به سماك اليهودي : فأجابه سماك اليهودي ، فقال

ان تفخَروا فهو فخرٌ لكــم بمقتلِ كعبٍ أبي الأشرفِ
غداةَ غدوْتم على حتفِــه ولم يأتِ غدرا ولم يُخْلِفِ
فعل الليإلى وصَرَفَ الدهورِ يُدين من العادلِ المُنْصِفِ[207]
بقتْلِ النضيرِ وأحلافِهــا وعَقْر النخيلِ ولمٍ تُقْطَفِ
فإن لا أمتْ نأتكم بالقَنَــا وكلِّ حسامٍ معا مُرْهَفِ
بكفّ كَمِي به يحتمِــى متى يَلْقَ قِرْناً له يُنْلِفِ
مع القومِ صخر وأشياعُــه إذا غاوَر القومَ لم يَضْعُفِ
كَليثٍ بِتَرْجَ حَمَى غِيلَــه أخِى غابةٍ هاصر أجْوَفِ[208]

كعـب بـن مالـك يقـول شـعراً فـي إجلاء بنـي النضـير ومقتـل كعـب بـن الأشرف : قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضــير وقتل كعب بن الأشرف :

لقد خَزِيَتْ بغَدْرتِها الحُبورُ كذاكَ الدهر ذو صَرْفٍ يَدورُ[209]
وذلك أنهم كفروا بــرب عزيز أمرُه أمر كبيرُ

---

[205] رغم الآنف : أى رغم أنفكم ، أى على هوان ومذلة .

[206] يريد على جمل جريح هزيل .

[207] يريد بالعادل المنصف محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أراد الملعون التهكم عليه صلى الله عليه وسلم أو يكون كما قال أبو ذر في شرح السيرة أن يكون اللفظ للمدح والمعنى للذم كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان : 49]

[208] ترج : جبل بالحجاز. وغيله : جمع غيلة وهى أجمة الأسد، والأجوف : عظيم الجوف .

[209] الحبور: العلماء.

وقد أوتوا معا فَهما وعِلمـا وجاءهمُ من الله النذيرُ
نذير صادق أدى كتابـا وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أُتُيْتَ بأمْرٍ صدقٍ وأنت بمُنكَرٍ منا جَديرُ
فقال بلَى لقد أديتُ حقـاً يُصدِّقني به الفَهِمُ الخبيرُ
فمن يَتْبعْه يُهْدَ لكلِّ رُشْـدٍ ومن يكفرْ به يُجْز الكَفورُ
فلما أشربوا غدرا وكفراً وحادَ بهم عن الحق النُّفورُ
أرى الله النبيَّ برأيِ صدقٍ وكان الله يحكم لا يجورُ
فأيده وسلَّطه عليهـــم وكان نصيرُه نِعْمَ النصيرُ
فغُودِرَ منهمُ كعب صريعا فذُلت بعدَ مصرعِه النضيرُ
على الكفين ثَمَّ وقد علتْـه بأيدينا مُشَهَّرَةٌ ذُكورُ[210]
بأمرِ محمدٍ إذ دسَّ ليـلا إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ
فماكرهُ فأنزله بمكـــر ومحمودٌ أخو ثقةٍ جَسُور
فتلك بنو النضيرِ بدارِ سوءٍ أبارَهمُ بما اجترموا المُبيرُ[211]
غداةَ أتاهمُ في الزحفِ رَهْوا رسولُ الله وهْوَ بهم بَصيرُ[212]
وغسَّانَ الحُماةُ مُـوازِروهُ على الأعداءِ وهْوَ لهم وزيرُ
فقال السِّلم ويحكم فصدوا وحالف أمرَهم كَذِبٌ وزورُ[213]
فذاقوا غِبَّ أمرِهمُ وَبـالا لكلِّ ثلاثةٍ منهم بعيرُ[214]
وأجْلَوْا عامدين لقَيْنقـاعٍ وغُودرَ منهمُ نخلٌ ودورُ

سماك اليهودي يرد على كعب بن مالك : فأجابه سماك اليهودي ، فقـال :

---

[210] مشهرة: مسلولة . ذكور: قرية.

[211] أبارهم : أهلكهم . أجترموا: أذنبوا واكتسبوا الإثم .

[212] الرهو: المشى في تؤدة .

[213] حالف : صاحب .

[214] غب : والمغبة هى العاقبة .

# أرِقْتُ وضافنى هَم كبيــرُ		بليلٍ غيرُه ليل قصير[215]
# أرى الأحبارَ تُنكرُه جميعـا		وكلّهمُ له عِلمٌ خبيرُ
# وكانوا الدارسين لكلِّ علـمٍ		به التوراةُ تَنطقُ والزَّبورُ
# قتلتم سيدَ الأحبارِ كعبـا		وقِدْما كان يأمنُ من يُجيرُ
# تدلّى نحوَ محمودٍ أخيــه		ومحمود سريرتُه الفُجورُ
# فغادره كأن دما نجيعـا		يسيل على مَدارِعه عبيرُ[216]
# فقد وأبيكُمُ وأبي جميعـا		أصيبتْ إذ أصيبَ به النضيرُ
# فإن نَسْلَمْ لكم نتركْ رجالا		بكعبٍ حولَهُم طيرٌ تدورُ
# كأنهمُ عتائرُ يومِ عيــدٍ		تُذَبَّحُ وَهْىَ ليس لها نكيرُ[217]
# ببيضٍ لا تُليقُ لهن عَظماً		صوافي الحدِّ أكثرُها ذكورُ[218]
# كما لاَقيتمُ من بأسِ صَخْرٍ		بأحْدٍ حيثُ ليس لكم نصيرُ[219]

عباس بن مرداس يمدح رجال بني النضير: وقال عباس بن مرداس أخو بني سُليم يمتدح رجال بني النضير:

# لو أن اهلَ الدارِ لم يتصدَّعوا		رأيت خِلال الدارِ مَلْهًى ومَلْعبَا[220]
# فإنك عَمْري هل أريك ظَعائنا		سلكْنَ على رُكْنِ الشَّطاةِ فَتْيأبَا[221]
# عليهن عينٌ مِن ظباء تَبالةٍ		أوانسُ يُصبينَ الحليمَ المجرَّبا[222]

---

[215] ضافني : نزل بى .

[216] الدم النجيع : الطري . المدارع : ملابس من صوف . والعبير: الأخلاط من الطيب .

[217] العتائر: الذبائح .

[218] لا تليق : لا تبقى ولا تذر.

[219] صخر: يقصد به أبا سفيان بن حرب .

[220] يتصدعوا: يتفرقوا.

[221] الظعائن : النساء في الهوادج . الشطاة وتيأب : مرضعان . ونوَّن الظعائن وإن كان ممنوعا من الصرف لصيغة منتهى الجموع - لضرورة الشعر.

[222] العين : واسعات الأعين . تبالة: موضع باليمن يشتهر بالظباء، ويصبين : يذهبن العقل.

إذا جاء باغى الخيرقلن فُجاءةً له بوجوهٍ كالدنانيرِ مرحبَا

وأهلا فلا ممنوعَ خير طلبتَـه ولا أنت تخشى عندَنا أن تؤنَّبَا
فلاتحسبنِّى كنتُ مولى بنِ مِشْكَمٍ سَلامٍ ولامَوْلَى حُيَى بن أخْطبَا

خوات بن جبير يرد عليه : فأجابه خَوَّات بن جُبَيْر، أخو بني عَمرو بن عَوْف فقال :

تُبَكِّى على قتلَى يهودٍ وقد ترى من الشَّجْوِ لوتبكي أحبَّ وأقرَبَا
فهَلا على قتْلَى ببطنِ أرُينقٍ بكَيْتَ ولم تُعْوِلْ من الشَّجْوِ مُسْهِبَا[223]
إذا السِّلْمُ دارت في صديقٍ ردَّدتَها وفي الدِّينِ صَدَّادا وفـي الحـربِ ثَعلبَا
عمدْتَ إلى قَدْرٍ لقومِك تبتغي لهم شَبَها كيمَا تعِزُّ و تَغْلِبَا
فانك لمَّا إن كَلِفْتَ تَمُدَّحا لمن كان عَيْبا مدحُه وتَكَذُّبَا
رحَلْتَ بأمر كنتَ أهلا لمثلِهِ ولم تُلْفِ فيهمْ قائلا لك مَرْحبَا
فهَلا إلى قومٍ ملوكٍ مدحتَهم تبنَّوْا من العزِّ المؤثَّلِ مَنْصِبَا[224]
إلى معشر صَاروا مُلوكا وكُرِّمُوا ولم يُلْفَ فيهم طَالبُ العرفِ مُجْدِبَا
أولئك أحْرَى من يهودٍ بمِدْحَةٍ تراهم وفيهم عِزَّةُ المجدِ تُرْتُبَا[225]

عباس بن مرداس يرد على خوات بن جبير: فأجابه عباس ابن مرداس السلمي ، فقال :

هجوْتَ صريحَ الكاهنيْن وفيكمُ لهم نِعم كانت من الدهرتُرْتُبَا[226]

---

[223] المسهب : المتغير الوجه .

[224] المؤثل : القديم .

[225] الترتب : الثابت .

[226] الكاهنان : قريظة والنضير، وفى الحديث : يخرج في الكاهنين رجل يدرس القرآن درسا لم يدرسه أحد قبله ، ولا يدرسه أحد بعده ، فكانوا يرونه أنه محمد بن كعب القرظي
وهو محمد بن كعب بن عطية، والكاهن في اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذي يقوم
بحاجة أهله ، إذا خلف عليهم ، يقال : هو كاهن أبيه وكاهله ، قاله الهروي ، فيحتمل
أن يكون سمي الكاهنان بهذا.

أولئك أحْرَى لو بكيتَ عليهمُ وقومُك لو أدَّوْا من الحقِّ مُوجبَا
من الشكرِ إن الشكرَ خير مَغَبَّة وأوفقُ فعلا للذي كان أصـــوبَا[227]
فكنتَ كمن أمسى يُقطِّع رأسَه ليبلغَ عزًّا كان فيه مُرَكَّبَا
فبَكِّ بني هارونَ واذكرْ فعالَهم وقتلَهمُ للجوعِ إذ كُنتَ مُجدِبَا
أخَوَّاتُ أذْرِ الدمعَ بالدمعِ وابكهمْ وأعْرضْ عن المكروه منهم ونَكِّبَـــا[228]
فإنك لو لاقيتَهمْ في ديارِهـــم لألفيْتَ عَمَّا قد تقول مُنَكِّبَا
سِراعٌ إلى العَلْيا كرام لَدى الوَغَى يُقال لباغِى الخيرِ أهلا ومرحَبَا[229]

ما قاله أحد الصحابة في الرد على عباس بن مرداس : فأجابه كعب بن مالك ، أو عبدالله بن رَواحة فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعمري لقد حَكَّتْ رَحَى الحربِ بعدما أطارتْ لُؤَيّا قبلُ شرقا ومغرِبَـــا
بقيةَ آل الكاهِنَيْن وعِزَّهـــا فعاد ذليلا بعدَ ما كان أغْلبا
فطاح سلام وابنُ سَعيةَ عَنْـــوةً وقِيدَ ذليلا للمنايا ابنُ أحْطبَا
وأجْلَبَ يبغى العزَّ، والذلَّ يبتغـي خلافَ يديْه ما جنىَ حين أجْلَبا
كتـارِكِ سـهلِ الأرضِ،والحَـزْن همُّـهُ وقـد كـان ذا فـي النـاس أكْدَىوأصْـعَبَا[230]
وشَأسٌ وعَزَّالٌ وقد صَليا بهـا وما غُيبا عن ذاك فيمن تَغَيّبّا
وعَوْفُ بن سَلْمَى وابنُ عَوْفٍ كلاهُما وكعب رئيسُ القومِ حانَ وخُيِّبـــا[231]
فبُعدا وسُحقا للنضيرِ ومثلهـــا إنْ أعْقبَ فتحٌ أو إنِ الله أعْقَبا

---

[227] المغبة : العاقبة.

[228] نكب : أبعد .

[229] الوغى : مقصور الجلَبة والأصوات ومنه وغى الحرب وقال ابن جِنّى " الوغى " بالمهملة الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها.

[230] الحزن : الأرض العالية . الأكدى : الذي لم يبلغ حاجته .

[231] حان : هلك .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النضير بني المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحاق فيه.

غزوة ذات الرقاع
في سنة أربع

الإستعداد للغزوة : قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعدَ غزوة بني النَّضِير شهرَ ربيع الآخر وبعضَ جمَادَى، ثم غزا نجدا يريد بني محارِب وبنى ثعلبة من غَطفَان ، واستعمل على المدينة أبا ذَرٍّ الغِفاريَّ ؛ ويقال : عُثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن اسحاق : حتى نزل نَخلا[232] ، وهى غزوةُ ذات الرِّقاع .

لماذا سميت بهذا الإسم : قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقَّعوا فيها راياتِهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها: ذات الرقاع[233] .

---

[232] نخل : موضع بنجد.

[233] وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة، فسُميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة، وأصح من هذه ألاقوال كلها ما رواه البخاري في صحيحه من طريق أبي موسى الأشعرى : قال : " خرجنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت اقدامنا، ونقبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ،
لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، فحدث أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره كأنه كره أن يكون شيئا من عمله أفشاه ". أنظر
فتح الباري من تحقيقنا ومفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لنا.

من أسباب صلاة الخوف : قال ابن اسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غَطفَان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناسُ بعضَهم بعضا ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس .

كيفية صلاة الخوف : قال ابن هشام : حدثنا عبدُ الوارث بن سعيد التنوري - وكان يُكْنَى: أبا عُبَيدة - قال : حدثنا يونسُ بنُ عُبَيْد: عن الحسن بن أبي الحسن ، عن جابر بن عبدالله في صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلَّم ، وطائفة مقبلون على العدوِّ قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ، ثم سلَّم .

قال ابن هشام : وحدثنا عبدُ الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي الزبير، عن جابر، قال : صَفَّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين، فركع بنا جميعا، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الصفُّ الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامَهم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا، ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم . فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التُّوري ، قال حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر، قال : يقوم الإمامُ وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلى عدوهم ، فيركع بهم الإمامُ ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو، ويتقدم الآخرون فيركع بهم الإمامُ ركعةً، ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة[234].

---

[234] ذكر صلاة الخوف وأوردها من طرق ثلاث وهى مروية بصور مختلفة أكثر مما ذكر. يقول السهيلى : سمعت شيخنا أبا بكر - رحمه الله - يقول : فيها ست
عشرة رواية، وقد خرج المصنفون أصحها، وخرج أبو داود منها جملة، ثم اختلف
الفقهاء في الترجيح ، فقال طائفة: يعمل منها بما كان أشبه بظاهر القرآن ، وقالت طائفة : يجتهد في طلب الآخر منها، فإنه الناسخ لما قبله ، وقالت طائفة: يؤخذ بأصحها نقلا، وأعلاها رواة، وقالت طائفة : وهو مذهب شيخنا: يؤخذ بجميعها على حسب اختلاف أحوال الخوف ، فإذا اشتد الخوف ، أخذ بأيسرها مؤنة، فإذا تفاقم الخوف
صلوا بغير إمام لقبلة أو لغير قبلة، وروى ابن سلام عن طائفة من السلف أن صلاة الخوف ، قد تئول إلى أن تكون أربع تكبيرات ، وذلك عند معمعة القتال . ومما تخالف
به صلاة الخوف حكم غيرها أنه لا سهو فيها على إمام ، ولا على مأموم رواه الدارقطنى بسند ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا سهو في صلاة الخوف . وانظر
بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ط دار الجيل - بيروت ، وفتح الباري لابن
حجر ط عالم الكتب - بيروت ، ونيل الأوطار للشوكانى ط الكليات الأزهرية -
القاهرة - الجميع من تحقيقنا.

غورث يهم بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وما نزل فيه من قرآن

: قال ابن اسحاق : وحدثني عَمرو بن عُبَيد، عن الحسن ، عن جابر بن عبدالله : أن رجلا من بني مُحارب ، يقال له : غَوْرَث ، قال لقومه من غَطَفان ومُحَارب : ألا اقتل لكم محمدا؟ قالوا: بلى،وكيف تقتلُه ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجْره ، فقال : يا محمد، انظرُإلى سيفك هذا؟ قال : نعم – وكان محلًّى بفضةٍ ، فيما قال ابن هشام – قال : فأخذه فاستلَّه ، ثم جعل يهزه ، ويَهُم فيكبته الله ؛ ثم قال : يا محمد، أما تخافنى؟ قال : لا، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا، يمنعنى الله منك ، ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه . قال : فأنزل الله : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا الله وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 11].

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيدُ بن رُومأن ، أنها أنما أنزلت في عَمْرو بن جِحاش ، أخى بني النضير وما هَمَّ به ، فالله أعلم أي ذلك كان .

قصة جابر وجمله في هذه الغزوة : قال ابن اسحاق : وحدثني وهب بن كَيْسان ، عن جابر بن عبدالله ، قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات

الرقاع من نخل ، على جمل لي ضعيف ، فلما قفل[235] رسولُ اللـه صـلى الله عليه وسلم، قـال : جعلـتِ الرفـاقُ تمضـى، وجعلـتُ أتخلـف ، حـتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : ما لك يـا جـابر؟ قـال . قلت : يا رسول الله ، أبطأ بي جملـى هـذا، قـال أنخْـه . قـال : فـأنخته ؛ وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال : أعطني هذه العصا مـن يدك ، أو أقطع لي عصا من شجرة، قال : ففعلت . قال : فأخذها رسـول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخساتٍ ، ثم قال : اركبْ ، فركبتُ ، فخرج - والذي بعثه بالحق - يُوَاهق[236] ناقته مُوَاهقةً .
قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لـي : اتـبيعُني جملَك هذا يا جابر؟
قال : قلت : يا رسول الله ، بل أهبَه لك ، قـال : لا، ولكـن بِعْنيـه ، قـال : قلت : فَسُمْنيه يا رسول الله ، قال : قد أخذته بدرهم[237] ؛ قـال : قلـت لا،

---

[235] قفَل من سَفَرة قفولا: من باب قعد رجع ، والإسم قَفَل بفتحتين ويتعدى بالهمزة فيقال أقفلته والفاعل من التلاقي قافل والجمع قافلة وجمع القافلة قوافل .

[236] يواهق : يسابق .

[237] فان كان أعطاه الدرهم مازحا، فقد كان يمزح ، ولا يقـول إلاحقـا، فإذا كان حقا،
ففيه من الفقه إباحة المكايسة الشديدة في البيع بأن يذكر البائع سـعرا عاليا جدا
ويذكر المشتري سعرا منخفضا، وأن يعطي فـي السـلعة مـالا يشـبه أن يكون ثمنا لها
بنص الحديث ، وفي دليله أن من اشترى سلعة بمـا لا يشـبه أن يكـون لها ثمنا،
وهو عاقل بصير، ولم يكن في الـبيع تـدليس عليـه ، فهـو بيـع مـاض لا رجوع فيه ،
وروي من وجه صحيح أنه كان يقول له كلمـا زاد لـه درهمـا قـد أخـذته بكذا والله
يغفر لك ، فكأنه عليه السلام أراد باعطائه أيـاه درهمـا درهمـا أن يكـثر استغفاره له ،
وفي جمل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرناه ، وذلك أن طائفـة من الفقهاء
احتجوا به فـي جـواز بيـع وشـرط ، لأن النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم شرط له ظهره إلى المدينة، وقالت
طائفة : لا يجوز بيع وشرط ، وإن وقع فالشرط باطـل والـبيع باطـل ، واحتجوا بحديث
عمرو بن شُعيب عن أبيه شُعيب عـن جـد أبيـه عبـدالله بـن عمـرو بـن العاص أن النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن شرط وبيع ، وعن بيع وسـلف . وقـد روى أبو داود هذا الحديث، فقال : عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محمد بن عبدالله بن عمرو عن أبيه عبـدالله بـن عمـرو. وهـذه رواية مستغربة عند أهل الحديث جـدا، لأن المعـروف عنـدهم أن شـعيبا إنما يروي عن جده عبدالله ، لا عن أبيـه محمـد لأن أبـاه محمـدا مـات قبل جده عبدالله ، فقف على هذه التنبيهة في هذا الحديث ، فقلَّ مـن تنبه إليها وقالوا: لا حجة في حديث جابر لما فيه من الإضـطراب ، فقـد روى أنه قال : أفقرني ظهـره إلـى المدينـة، وروي أنـه قـال : اسـتثنيت

إذن ، تَعْنِننى يا رسول الله!

ظهره إلى المدينة، وروي أنه قال : شرط لـي ظهـره ، وقـال البخـاري : الإشـتراط أكـثر واصـح وقـالت طائفـة بإبطال الشرط ، وجواز البيع ، واحتجوا بحديث بريرة حين باعهـا أهلهـا من عائشة، واشترطوا الولاء فأجاز النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم الـبيع وأبطل الشرط ، واستعمل مالك هذه الأحاديث أجمع ، فقال : بإبطال البيع والشرط على صورة، وبجوازهما على صورة أخرى، وبابطال الشرط وجواز البيع على صورة أيضا، وذلك بين في المسائل لمن تدبرها وأبين ما توجد محكمة الأصول مستثّمرة الجنا والفصول في كتاب المقدمات لابن رشد الكبير والبداية والنهاية لابن رشد حفيده ، فلينظرها هنالك من أرادها من تحقيقنا. ط دار الجيل - بيروت .

قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا. قال فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمنه حتى بلغ الأوقية[238] . قال : فقلت : أفقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ قلت : فهو لك ؟ قال : قد أخذته .

قال : ثم قال يا جابر، هل تزوجتَ بعدُ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيِّبا أم بكرا؟ قال : قلتَ : لا، بل ثيبا؛ قَال : أفلا جارِية تلاعبُها وتلاعبك ! قال : قلت : يا رسول الله ، أن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا، فنكحت امرأةً جامعة، تجمع رءوسهنّ ، وتقوم عليهن ؛ قال : أصبت إن شاء الله ، أما أنا لوقد جئنا صِرَارا[239] أمرنا بجَزور فنُحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا، فَنفَضتْ

---

[238] اضطربوا في الثمن ، فقالوا: بعته منه باوقية، وقال بعضهم : بأربع أواقٍ ، وقال بعضهم : بخمس أواق ، وقال بعضهم : بخمسة دنانير، وقال بعضهم : بأربعة دنانير، وقال بعضهم :
هو في معنى الأوقية، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخاري ، وقال مسلم في بعض رواياته : دينارين ودرهمين . راجع فتح الباري - بتحقيقنا.

[239] صرار: موضع قريب من المدينة .

نمارقَها[240]. قال : قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق ؛ قال إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كَيِّسا.
قال : فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنُحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا قال : فحدثتُ المرأةَ الحديثَ ، وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قالت : فدونَك ، فسمعٌ وطاعة .
قال : فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنختُه على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ثم جلست في المسجد قريبا منه ؛ قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى الجمل ؛ فقال : ما هذا؛ قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر؛ قال : فأين جابر؟ قال : فدُعيت له ؟ قال : فقال يا بن أخي خذ برأسِ جملك ، فهو لك ، ودعا بلالا، فقال له : اذهب بجابر، فأعطه أوقيةً . قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية، وزادني شيئا يسيرا. قال : فوالله ما زال يَنْمِى عندي ، ويُرَى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا[241]،

---

[240] النمارق : كل ما يجلس عليه من الحشايا وغيرها.

[241] ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تعلم قطعا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل
شيئا عبثا بل كانت أفعاله مقرونة بالحكمة ومؤيدة بالعصمة، فاشتراؤه الجمل من
جابر ثم أعطاه الثمن ، وزاده عليه زيادة، ثم رد الجمل عليه ، وقد كان يمكن أن
يعطيه ذلك العطاء دون مساومة في الجمل ، ولا إشتراء ولا شرط ولا توصيل ، فالحكمة
في ذلك بديعة جدا، فلتنظر بعين الإعتبار، وذلك أنه سأله : هل تزوجت ، ثم قال
له : هلا بكرا، فذكر له مقتل أبيه ، وما خلف من البنات ، وقد كان عليه السلام
قد أخبر جابرا بأن الله قد أحيا اباه ، ورد عليه روحه ، وقال : ما تشتهى فأزيدك ،
فأكد عليه السلام هذا الخبر بمثل ما يشبهه ، فاشترى منه الجمل ، وهو مطيته ، كما
اشترى الله تعالى من أبيه ، ومن الشهداء أنفسهم بثمن هو الجنة، ونفس الإنسان مطيته
كما قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - إن نفسي مطيتي ، ثم زادهم
زيادة فقال : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26]، ثم رد عليهم أنفسهم التى اشترى : منهم فقال : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: 169] فأشار عليه السلام باشترائه الجمل من جابر وإعطائه الثمن وزيادته على الثمن ، ثم رد الجمل المشترى
عليه ، أشار بذلك كله إلى تأكيد الخبر الذي أخبر به عن فعل الله تعالى بأبيه ، فتشاكل الفعل مع الخبر، كما تراه ، وحاش لأفعاله أن تخلو من حكمة بل هي كلها
ناظرة إلى القرآن ومنتزعة منه صلى الله عليه وسلم

يعنى يوم الحَرَّة[242] .
ما أصيب به صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحراسة : قـال ابن اسحاق : وحدثني عمى: صَدقة[243] بن يَسار، عن عَقيل بن جـابر، عـن جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم

---

[242] يعني : وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بـن معاويـة علـى يدى مسلم بن عقبة المرى الذي يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبـة، وكان سببها أن اهل المدينة خلعوا
يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بـن الحكـم وبنـي أميـة، وأمَّـروا عليهـم عبدالله بن حنظلة الغسيل الـذي غسـلت أبـاه الملائكـة يـوم أحـد، ولـم يوافـق علـى الخلـع أحـد مـن أكـابر الصـحابة الـذين كـانوا فيهـم ، روى البخارى أن عبدالله بن عُمر لما أرجف اهل المدينة
بيزيد دعا بنيه ومواليه ، وقال لهم : أنا قد بايعنا هذا الرجـل علـى بيعـة الله وبيعة رسوله ،
وإنه والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يدا مـن طـاعته إلامـا كـانت الفيصل
بيني وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخـدرى بيتـه ، فـدخل عليـه في تلك الأيام
التي انتهبت المدينة فيها، فقيل له : من أنت أيهـا الشـيخ ؟ فقـال : أنـا أبو سعيد الخدري صاحب النبي صلى الله عليـه وسـلم فقـالوا: سـمعنا خبرك ، ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ، ولزمت
بيتك ، ولكن هات المال ، فقال : قد أخذه الـذين دخلـوا قبلكـم علـيَّ ، وما عندي شىء ،
فقالوا: كذبت ، ونتفوا لحيته ، وأخذوا ما وجـدوا حـتى صـوف الفـرش ، حتى أخذوا زوجين من حمام كان صـبيانه يلعبـون بهمـا، وأمـا جـابر بـن عبدالله الذي كنا بمساق
حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقـة المدينـة والـبيوت تنتهـب ، وهو أعمى،
وهو يعثر في القتلى، ويقول : تعس من أخـاف رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم، فقال له قائل : ومن
أخاف رسول الله ، فقال : سمعت رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم يقول : من أخاف المدينة، فقد
أخاف مـا بيـن جنـبي . فحملـوا عليـه ليقتلـوه ، فأجـاره منهـم مـروان ، وأدخله بيته ، وقتل
في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة، وقتـل مـن أخلاط الناس
عشرة الآف . سوى النساء والصبيان . عليهم رحمة الله.

[243] ليس عمه : فإن صدقة هذا خزرجي كان يسكن مكة وإنما هو لقب لقبه به احتراما له .

في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأةَ رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا، أتى زوجُها وكان غائبا، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهى حتى يُهَرِيق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دما فخرج يتبع أثَرَ رسول اللَه صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتَنا هذه ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشِّعْب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شِعْبٍ من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعَباد بن بشر فيما قال ابن هشام
قال ابن اسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشِّعْب ، قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكَه : أولَه أم آخرَه ؟ قال : بل اكفني أوله ، قال : فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاريُّ يصلى، قال : وأتى الرجلُ ، فلما رأى شخصَ الرجلِ عَرَف أنه ربيئةُ[244] القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائما، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائما، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد، ثم أهَبَّ صاحبَه فقال : اجلسْ فقد انْبَتَّ[245] ، قال : فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نَذِرَا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجريُّ ما بالأنصاريِّ من الدماء قال : سبحانَ الله ! أفلا أهْبتني أولَ ما رماك ؟ قال : كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعَها حتى أنْفِدَها[246]، فلما تابع عليَّ الرمى ركعت فآذنتك ، وايم الله ، لولا أن أضيِّع ثَغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفِدَها[247].

---

[244] الربيئة : هو الطليعة، يقال : ربا على القوم يربأ فهو رباء: فعال من ربا إذا نظر
من مكان مرتفع ، لحراسة القوم .

[245] أثبت : جرحت جراحة بالغة.

[246] أنفدها: أتم قراءتها.

[247] وفي هذا الحديث من الفقه صلاة المجروح وجرحه يثعب دما، كما فعل عمر بن الخطاب ، وقد ترجم بعض المصنفين عليه لموضع هذا الفقه ، وفيه متعلق لمن يقول : إن غسل النجاسة، لا يعد في شروط صحة الصلاة، وفيه من الفقه أيضا تعظيم حرمة الصلاة، وأن للمصلى أن يتمادى عليها وإن جر إليه ذلك القتل ، وتفويت النفس ،
مع أن التعرض لفوات النفس ، لا يحل إلافى حال المحاربة، ألا ترى إلى قوله :
لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها او أنفدها، يعنى : السورة التى كان يقرؤها.

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها.
قال ابن اسحاق : ولما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينــة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقيةَ جُمادَى الأولى وجمادَى الاخرة ورجبا.

غزوة بدر الاخرة
في شعبان سنة أربع

خروج الرسول لملاقاة أبي سفيان ورجوع أبي سفيان إلى مكـة:

قـال ابن اسحاق : ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان ، حتى نزله .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبـدَالله بـن أبـي ابـن سَـلُول الأنصاري .
قال ابن اسحاق : فأقام عليه ثمانى ليالٍ ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبـو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظَّهران ، وبعضُ النــاس يقول : قد بلغ عُسْفان ، ثم بدا له في الرجوع ، فقال : يا معشــر قريـش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون

فيه اللبن ، وإن عامَكم هـذا عـام جـدب ، وأنـي راجـع ، فـارجعوا، فرجـع الناس . فسماهم أهلُ مكة جيش السَّويق ، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم علـى بـدر ينتظـر أبـا سـفيان لميعاده ، فأتاه مَخْشِيُّ بن عمرو الضَّمْري ، وهو الـذي كـان وادعـه علـى بني ضَمْرة في غزوة وُدَّان ، فقال : يا محمد، أجئـت للقـاء قريـش علـى هذا الماء؟

قال : نعم يا أخا بني ضَمْرة، وأن شئتَ مع ذلك رددنا إليـك مـا كـان بيننـا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بينَنا وبينَك ، قال : لا والله يـا محمـد، ما لنا بذلك منك من حاجة .

ما قاله معبد الخزاعي من الشـعر: فأقـام رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ينتظر أبا سفيان فمر به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال ، وقـد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوي به[248] :

قد نفرتْ من رُفْقَتَيْ محمدِ وعجوةٍ من يثربٍ كالعَنْجَدِ[249]

تهوي على دينِ أبيها الأتْلَدِ قد جعلَتْ ماءَ قديدٍ مَوْعِدِي[250]

وماءَ ضجنان لها ضُحَي الغَدِ[251]

ما قاله أحد صحابة الرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي هـذه الغـزوة : وقال عبدالله بن رواحة في ذلـك - قـال ابـن هشـام : أنشـدنيها أبـو زيـد الأنصاري لكعب بن مالك :

---

[248] تهوي به : تسرع به .

[249] العنجد: حـب الزبيـب ، وقـد يقـال للزبيـب نفسـه أيضـا عنجـد، وأمـا العنب ، فيقال لعجمه : الفرصد .

[250] الدين هنا: العادة . الأتلد: القديم . ماء قديد: ماء قريب من مكة.

[251] ضجنان : مكان قريب من مكة .

وعدنا أبا سفيان بدر. فلم نجدْ لميعادِه صِدقا ومـــــا كـــــان وَافيَــــــا
فأقسمُ لو وافَيْتنا فلقيْتَنــا لأبْتَ ذميما وافتقـــــدْتَ المَوَاليـــــا
تركنا به أوصالَ عتبةَ وابنـه وعَمرا أبا جهلٍ تركنـــاه ثاويـــــاً
عصيتمْ رسولَ الله أفّ لدينكم وأمركم السيئ الـــذي كـــان غاويَـــا
فإنى وإن عنفتموني لقائْــل فِدًى لرسولِ الله أهلـــى وماليَـــا
أطعناه لم نَعْدِلْه فينا بغيــره شهابا لنا في ظلمـــةِ الليـــلِ هاديَـــا

شعر حسان في ذلك : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دَعُوا فَلَجاتِ الشأمِ قد حال دونَها جِلاد كأفواهِ المخاضِ الأوَارِكِ[252]
بأيدي رجالٍ هاجروا نحوَ ربِّهم وأنصارِه حقا وأيديَ الملَائك
إذا سلكْتَ للغورِ من بطنِ عَالجٍ فقولا لها ليس الطريقُ هنالكِ[253]
أقمنا على الرَسِّ النّزوعِ ثمانياً بأرْعَنَ جَرَّارٍ عريضِ المَبارِكِ[254]
بكلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُه نِصف خَلْقِه وقُب طِوالٍ مشرفاتِ الحـــــوارِكِ[255]
ترى العَرْفجَ العامي تَذْرِي أصولُه مناسمُ أخفافِ المَطِيِّ الرَّواتـــــكْ[256]
فإن نَلْقَ في تَطوَفِنا والتماسِنا فُرتَ بنَ حَيَّانَ يكنْ رَهنَ هالكِ

---

[252] فلجات : جمع فلج ، وهذا الماء الجاري ، سمي فلجا لأنه قد حد في الأرض ، وفرق بين جانبيه ، مأخوذ من فلج الأسنان ، وأما من الفلج وهو القسم ، والفالج مكيال يقسم به ، والفلج والفيلج بعير ذو سنامين ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة الدينوري بالحاء وقال : الفلحة المزرعة، والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك وهو شجر تؤخذ منه المساويك .

[253] الغور: ما انخفض من الأرض . وعالج : مكان كثير الرمل .

[254] الرسَ : البئر. النزوع : سهلة الماء. الأرعن : الجيش الجرار.

[255] الكميت الفرس لونها بين الأحمر والأسود يطلق على المذكر والمؤنث . وحوزه : وسطه . قب : جمع أقب وهو الضامر. والحوارك : أعالي الفرس من ناحيةَ الكتفين .

[256] العرفج : نبات . والعامى: الذي بلغ العام. المناسم : أخفاف البعير. الرواتك : المسرعة.

وان نَلْقَ قَيْسَ بنَ امرىء القَيْسِ بعدَه يُزَدْ في سوادٍ لونُه لونُ حالـــك
فأبلغ أبا سفيانَ عنى رسالـــة فإنك من غُرِّ الرجالِ الصعالِكِ

أبو سفيان يرد على حسان : فأجابه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب فقال :

أحسانُ إنا يابنَ أكلةِ الفَغـــا وجَدّك نغتالُ الخُروقَ كذلك[257]
خرجنا وما تنجو اليعافيرُ بينَنـا ولو وألَتْ منا بشَدٍ مُدَارِكِ[258]
إذا ما انبعثنا من مُناخٍ حسبتَـه مُدَمَّنَ أهلِ الموْسمِ المتعارِكِ[259]
أقمتَ على الرسِّ النَّزوعِ تُريدنا وتتركنا في النخْلِ عندَ المـــداركِ[260]
على الزرعِ تمشى خيلُنَا وركابُنـا فما وَطِئَتْ ألصَقْنَه بالـــدكادِكِ[261]
أقمنا ثلاثا بينَ سَلْعٍ وفـــارعٍ بجُرْدِ الجيادِ والمَطِيِّ الرواتكِ[262]

حَسِبْتم جِلادَ القومِ عندَ قبابِهـــم كمأخذِكم بالعين أرْطالَ آنـــكِ[263]
فلا تبعثِ الخيلَ الجيادَ وقلْ لهـا على نحوِقولِ المُعْصِمِ المتماسِـــك[264]
سَعِدْتم بها وغيرُكم كان أهلَهـــا فوارسُ من أبناءِ فِهْرِ بنِ مالـــكِ
فإنك لا في هجرةٍ إن ذكرتَهـــا ولا حُرُماتِ الدينِ أنتَ بناسِـــكِ

---

[257] الفغا:التمر.نغتال :نقطع . الخروق : الصحراوات الواسعة

[258] اليعافير: أولاد الظباء. وألت : اعتصمت : والشد المدارك : الجري المتتابع . والمعنى
أنهم ملئوا السهل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير.

[259] المدمن : ما تركه الركب وتركوا فيه أثارهم . والموسم : المكان الذي تجتمع فيه العرب .
المتعارك : الذي يزدحم فيه القوم .

[260] الرس النزوع : البئر السهلة الماء. المدارك : الأماكن القريبة

[261] الدكادك : الرمال اللينة .

[262] سلع وفارع : جبلان . الرواتك : المسرعة.

[263] العين : الدر. الآنك : القزدير.

[264] المعصم : المستمسك بالشيء .

قـال ابـن هشـام : بقيـت منهـا أبيـات تركناهـا، لقبـح اختلاف قوافيهـا.
وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت :

خرجنا وما تنجو اليعافيرُ بيننا

والبيت الذي بعده لحسان بن ثابت في قوله :

دعوا فَلَجات الشأم قد حال دونَها

وأنشدني له فيها بيته : # فأبلغْ أبا سفيان ".

غزوة دومة الجندل[265]

في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن اسحاق : ثم انصرف رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إلـى المدينة، فأقام من مقدَم رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بهـا أشـهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غـزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل

من استعمله صلى الله عليه وسلم على المدينة : قال ابـن هشـام : فـي شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغِفَاريَّ .

قال ابن اسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ أن يصل اليها، ولم يلقَ كيدا فأقام بالمدينة بقية سنته .

---

[265] دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة بسير الإبل وسميت بدومى بن إسماعيل عليه السلام لأنه نزلها.

غزوة الخندق[266]

في شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبدالله البكائى، عن محمد بن اسحاق المطلبى، قال : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

اليهود تحزب الأحزاب : فحدثني يزيدُ بن رُومان مولى ال الزبير بن عُروة بن الزبير، ومَنْ لا أتهم ، عن عبدالله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القُرَظى، والزهري ، وعاصم بن عمر بن قَتادَة، وعن عبدالله بن أبي بكر، وغيرِهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثُه في الحديث عن الخندق ، وبعضُهم يحدِّث ما لا يحدِّث به بعض .

قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود، منهم : سَلام بن أبي الحُقَيق النَّضَري[267] وحُيىُّ بن أخْطَب النَّضَري ، وكِنانة بن أبي الحُقيْق النَّضَرى ، وهَوْذة بن قَيْس الوَائِلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النَّضِير، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حَزَّبوا الأحزاب على

---

[266] وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكايد الفرس وحربها، ولذلك
أشار به سلمان الفارسي ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري
منوشهر بن أبيرج بن أفريدون وقد قيل في أفريدون : أنه ابن اسحاق عليه السلام ،
وأكثرهم يقول فيه : هو ابن اثقيان ، وهو أول من اتخذ آلة الرمي ، وإلى رأس ستين
من ملكه بُعث موسى عليه السلام ، والكمائن في الحروب ، وأن أول من فعلها بختنصر
في قول الطبري .

[267] وهكذا تقيد في النسخة العتيقة، وقياسه : النضيري إلا أن يكون من باب قولهم ،
ثقفى وقرشي ، وهو خارج عن القياس ، وإنما يقال : فعلى في النسب إلى فعيلة -
عن الروض الأنف - من تحقيقنا.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قَدِموا على قريش مكـة، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: انا سـنكون معكم عليه ، حتى نستأصلَه . فقالت لهم قريـش: يـا معشـرَ يهـود، إنكـم أهلُ الكتابِ الأولِ والعلم
بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خيرٌ أم دينُه ؟ قالو: بل دينكـم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . فهم الذين أنزل الله تعالى فيهـم : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ[268] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنْ الَّـذِينَ آمَنُـوا سَـبِيلًا. أُوْلَئِـكَ الَّـذِينَ لَعَنَهُمْ الله وَمَنْ يَلْعَنْ الله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا }00 إلى قـوله تعـالى : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللـه مِـنْ فَضْـلِهِ }: أي النبـوة، {فَقَـدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } [النساء : 52-55].
قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونَشَطوا لما دعـوهم اليـه ، مـن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا لـه ؛ ثـم خرج أولئك النفر من يهود، حتى جاءوا غَطَفان من قَيْس عيلان ، فدعَوْهم إلى حربِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخـبروهم أنهـم سـيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .
خروج الأحـزاب : قـال ابـن اسـحاق : فخرجـت قريـش ، وقائـدُها أبـو سفيان بن حرب . وخرجت غَطَفان ، وقائدُها عُيَيْنة بن حِصْـن بـن حُذَيفـة بن بدر[269]، في بني فَزارة والحارث بن عوف بن حارثة

---

[268] الجبت : الصنم المعبود. الطاغوت : الساحر: الكاهن ، أو كل ما عُبد من دون الله .
[269] واسم عيينة حذيفة، وسمي : عيينة لشتر كان بعينه ، وهو الذي قـال فيه عليه السلام : (الأحمـق المطـاع)، لأنـه كـان مـن الجرارين تتبعـه عشرة الآف قناة، وهو الذي قال فيه النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : "إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره"، وفى رواية أخرى:
أنه قال : "إني أداريه ، لأني أخشـى أن يفسـد علـى خلقـا كـثيرا" وفـي هذا بيان معنى الشر الذي اتقى منه ، وكان دخل على النبي صلى اللـه عليه وسلم بغير اذن ، فلما قال له : أين الأذن ؟
قال . ما استأذنت على مضرى قبلك .

المري ، في بني مُرة ومِسْعر بن رُخَيْلة بن نُوَيْرة بن طَرِيف بن سُحْمة ابن عبدالله بن هلال بن خَلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان ، فيمن تابعة من قومه من أشْجع .

حفر الخندق : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندقَ على المدينة، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرُّون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغيرِ علمٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إذنٍ . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التي لا بد له منها، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير، واحتسابا له .

ما نزل من القرآن في حق العاملين في الخندق مؤمنهم ومنافقهم : فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين :{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : 62] فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير، والطاعة للّه ولرسوله صلى الله عليه وسلم. ثم قال تعالى، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون

بغير إذن من النبى صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللـه الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: 63] قال ابن هشام : اللواذ: الإستتار بالشيء عند الهرب ، قال حسان بن ثابت :

وقريشٌ تفر منا لِوَاذا أن يُقيموا وخَف منها الحُلومُ

وهذا البيت في قصيدة له ، قد ذكرتها في أشعار يوم أحد.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ قال ابن اسحاق : من صدق أو كذب .

﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 64].

المسلمون يرتجزون وهم يعملون : قال ابن اسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعَيْل ، سماه . رسول الله صلى الله عليه وسلم: عَمْرا، فقالوا:

سَماه من بعد جُعَيْلٍ عَمرَا وكان للبائس يَوْما ظهرا

فإذا مروا: ب " عَمْرَا " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عمرا، وإذا مروا

ب "ظهرَا" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهرا[270] .

معجزات ظهرت في حفر الخندق : قال ابن اسحاق : وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله تعالى عبرة في تصديق

---

[270]أي يقول معهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط وينونه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يقل شعرا مطلقا وإن كان يسمعه ويستجيده يقول الله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: 69]

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسـلمون .

ظهور الكدية والتغلب عليها: فكان مما بلغنى أن جابر بن عبدالله كان يحدث : أنـه أشـتدت عليهـم فـي بعـض الخنـدق كُدْيـة[271] ، فشَـكَوْها إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعُوَ به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكُدْية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبيّا لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مِسْحاة .

ما تحقق من البركة في تمر ابنة بشـير: قـال ابـن اسـحاق : وحـدثني سعيد بن مِينا أنه حُدِّث : أن ابنةً لبَشير بن سعد، أخت النعمان بن بشـير، قالت : دعتنى أمى عَمْرة بنت رَواحة، فأعطتنى حفنة من تمر في ثوبي ، ثم قالت : أي بُنَية، اذهبى إلى أبيك وخالك عبدالله ابـن رَواحـة بغـدائهما، قالت : فأخذتها، فـانطلقت بهـا، فمـررت برسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالى، فقال : تعالى يا بُنَية، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت ، يا رسول الله ، هذا تمر، بعثتنى به أمى إلى أبي، بشير ابن سـعد، وخالى عبدالله بن رواحة يتغذيانه ، قال : هاتيه ، قالت : فصببته في كفَّىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما، ثم أمر بثـوب فبسـط لـه ثم دَحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى الغداء فاجتمع الخندق عليـه ، فجعلـوا يـأكلون منه ، وجعل يزيد، حتى صدر أهلُ الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطـراف الثوب .

ما تحقـق مـن البركـة فـي دعـوة جـابر للطعـام : قـال ابـن اسـحاق : وحدثني سعيد بن مينا، عن جابر بن عبدالله ، قال : عملنا مع رسول

[271] الكُدية : الأرض الصلبة والجمع كُدًى: وهذا الجمع سمي به موضع بأسفل مكة .

الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ، فكانت عندي شُوَيْهة[272] ، غير جِـدّ سمينة . قال فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأمرت امرأتي ، فطحنت لنا شـيئا مـن شـعير، فصـنعت لنـا منـه خبزا، وذبحت تلك الشاة، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنصراف عـن الخندق - قال : وكنا نعمل فيه نهارنا، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد صنعت لك شوَيْهة كـانت عنـدنا، وصـنعنا معها شيئا من خبز هذا الشـعير، فـأحب أن تنصـرف معـى إلـى منزلـي ، وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .
قال : فلما أن قلت لـه ذلـك ، قـال : نعـم ، ثـم أمـر صـارخا فصـرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبدالله ، قال : قلت إنا لله وإنا اليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلى اللـه عليه وسلم، وأقبل الناس معـه ، قـال : فجلـس وأخرجناهـا اليـه . قـال : فبرَّك وسمَّى الله ، ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجـاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها.
بشرى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بـالفتوح : قـال ابـن اسـحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسي ، أنه قال : ضربت في ناحية مـن الخنـدق ، فغلظت عليّ صخرة[273] ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منـي ، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علىَّ، نزل فأخذ المِعْوَل مـن يـدي ، فضرب به ضربة

---

[272] شويهة : تصغير شاة .

[273] ووقع في غير السـيرة عبلـة وهـي الصـخرة الصـماء، وجمعهـا عبلات ويقال لها العبلاء
والأعبل أيضا، وهي صخرة بيضاء.

لمعت تحت المعول برقة، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثةَ، فلمعت تحتَه برقة أخرى[274] . قال : قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المِعْوَل وأنت تضرب ؟ قال : أَوَقَدْ رأيتَ ذلك يا سلمانُ ؟ قال : قلت نعم ، قال : أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق . "
قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول - حين فُتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده -:افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلاوقد أعطى الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحَها قبلَ ذلك .
وصول المشركين المدينة: قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومَة، بين الجُرُف وزَغابة[275] ، في عشرة ألاف من أحابيشهم ، ومن

---

[274] وخرجه النسوي من طريق البراء بن عازب بأتمّ مما وقع في السيرة، قال : لما أمرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذ فيه المعول ، فأخذ المعول ،
وقال : بسم الله ، فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة، وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح
الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، قال : ثم ضرب أخرى، وقال :
بسم الله، وكسر ثلثا آخر، قال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر
قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم ضرب ثالثة وقال : بسم الله، فقطع الحجر، وقال :
الله أكبر. أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر باب صنعاء من مكاني هذا الساعة.

[275] زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد
أن قدم القول بأنه زعابة بضم الزاي والعين المهملة، وحكي عن الطبرى أنه قال
في هذا الحديث بين الجرف والغابة، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف،قال السهيلي في الروض الأنف : والأعرف عندى في هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة، لأن في الحديث المسند أنه عليه السلام ، قال في ناقة أهداها
اليه أعرابي ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابي أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها، كما أعرف بعض أهلي ذهبت مني يوم زغابة،
وقد كافأته بست فسخط ". الحديث .

تبعهم من بني كنانة وأهل . تِهامة، وأقبلت غَطَفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذَنب نَقمَى، إلى جانب أحد. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلع[276] في ثلاثة ألاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة بن أم مكتوم .
قال ابن اسحاق : وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الأطام[277]
حيى بن أخطب يحرش كعب بن أسد: قال وخرج عدو الله حُيىَ بن أخطب النضري ، حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عَقد بني قُريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيى : ويحك يا كعب افتح لي . قال : ويحك يا حيى ، إنك امرؤ مشئوم ، وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقا؛ قال ويحك افتح لي أكلمْك ؛ قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جشيشتك[278] أن آكل معك منها. فاحْفَظ[279] الرجلَ ، ففتح له ؛ فقال : ويحك يا كعب ، جئتك بعزِّ الدهر

---

[276] سلع : جبل بالمدينة .
[277] الآطام : الحصون .
[278] الجشيشة : طعام يصنع من البر المطحون طحنا خشنا.

[279] احفظ : أغضب .

وبحر طامٍ ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رُومَة، وبغَطَفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نَقْمَى إلى جانب أحد، قد عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصلَ محمدا ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر، وبجَهام[280] قد هَرَاق ماءَه ، فهو يَرْعُد ويُبرق ، ليس فيه شيء، ويحك يا حُيى : فدعنى وما أنا عليه ، فانى لم أرَ من محمد إلا صدقا ووفاء. فلم يزل حُيى بكعب يفتله في الذِّروة والغارب[281] حتى سمح له ، على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا: لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهدَه ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرسول عليه الصلاة والسلام يستوثق من نقض كعب ميثاقه : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوْس ، وسعد
ابن عبادة بن دُلَيْم ، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما. عبدالله بن رواحة، أخو بني الحارث بن الخزرج ، وخَوَّات بن جُبَير، اخو بني عمرو بن عَوْف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فان كان حقا فالحِنوا

---

[280] الجهام : السحاب لا ماء فيه.

[281] هذا مثل ، وأصله في البعير، يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه ، وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضْرب هذا الكلام مثلا في المراوضة والمخاتلة، وكذلك جاء في حديث ابن الزبير حين أراد عائشة على الخروج إلى البصرة، فأبت عليه ، فجعل يفتل في الذروة والغارب حتى أجابته . وقال الحطيئة :
لعمرك لها تراد بني بغيض إذا نزع القراد بمستطاع
يريد: أنهم لا يخدعون ولا يستذلون .

لي لَحْنا[282] أعرفه ، ولا تَفُتوا في أعضاد الناس (2) وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتَوْهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا: مَن رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حِدَّة فقال له سعد بن عبادة : دَعْ عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربَى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه : ثم قالوا: عَضلٌ والقارة، أي كغدر عضل والقارة باصحاب الرجيع ، خُبَيْب وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين

ظهور النفاق من المنافقين : قال وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّب بن قشَيْر، أخو بني عمرو بن عَوْف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[283] .

---

[282] اللحن : العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه ، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف .

[283] الغائط : المطمئن ، الواسع من الأرض والجمع غيطان وأغوط وغُوْط ثم أطلق الغائط على الخارج المستقذر من الإنسان كراهة لتسميته باسمه الخاص لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في المواضع المطمئنة، فهو من مجاز المجاورة .

لم يكن معتب منافقا: قال ابن هشام : وأخبرني من أثق به من أهل العلم : أن مُعَتِّب بن قشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدرقال ابن اسحاق : وحتى قال أوْس بن قَيْظِي[284] ، أحد بني حارثة ابن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتَنا عورة من العدو، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذنْ لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلةً، قريبا من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرّمِّيا بالنَبل والحصار. قال ابن هشام : ويقال الرَّمْيا.

محاولة الصلح مع غطفان : فلما اشتد على الناس البلاء، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا اتهم ، عن محمد بن مُسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري ، إلى عُيينة بن حصن بن حُذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المُرِّي ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلثَ ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه . فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المراوضة في ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة، فذكر لهما، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك

---

[284] وهو القائل : إن بيوتنا عورة ، وابنه عرابة بن أوس كان سيدا، المصباح المنير
ولا صحبة له ، وقد قيل له صحبة، وقد ذكرناه فيمن استصغر يوم أحد، ولعرابة أخ اسمه : كباثة مذكور في الصحابة أيضا. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر وعلى ذيلة الإستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر بن عبد البر يظهر قريبا بتحقيقنا.

إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قَوْس واحدة، وكالبوكم[285] من كل جانب ، فاردت ان أكسر عنكم من شوكَتِهم إلى أمر مَّا، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبدُ الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً إلا قِرًى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدنا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالَنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدُوا علينا[286].

من حاول عبور الخندق من المشركين : قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارسَ من قريش، منهم عَمرو بن عَبد وُدّ بن أبي قَيْس ، أخو بني عامر بن لُؤي .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس .

قال ابن اسحاق : وعِكْرمة بن أبي جهل ، وهُبَيْر بن أبي وهب المخزوميان ، وضِرار بن الخطاب الشاعر ابن مِرْداس ، أخو بني مُحارب ابن فِهْر، تلبَّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيئوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان

---

[285] كالبوكم : غالبوكم . وكالبه مكالبة أظهر عَدَاوته ومناصبته وجاهره به وتكالب القوم تكالبا تجاهروا بالعدواة، وهم يتكالبون على كذا أى يَتَوائَبون .

[286] في هذا الحديث من الفقه جواز إعطاء المال للعدو، وإذا كان فيه نظر للمسلمين وحياطة لهم ، وقد ذكر أبو عبيد هذا الخبر، وأنه أمر معمول به وذكر أن معاوية صالح ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بمال دفعه اليه .

اليوم . ثم أقبلوا تُعْنِقُ[287] بهم خيلُهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

سلمان يشير بحفر الخندق : قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

علي يقتل عمرو بن عبد ود: قال ابن اسحاق : ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق ، فضربوا خيلَهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السَّبخة بين الخندق وسَلْع ، وخرج على بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثَّغْرة التى اقحموا منها خيلَهم وأقبلت الفرسان تُعْنِق نحوَهم ، وكان عَمرو بن عبد وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلمّا كان يوم الخندق خرج مُعْلَما[288] ليُرَى مكانُه . فلما وقف هو وخيلُه ، قال :

من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَلّتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ؛ قال له على: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لي بذلك ؛ قال : فإنى أدعوك إلى النزال ؛ فقال له : لم يا بن أخى؟ فوالله ما أحب أن أقتلَك ، قال له على : لكنى والله أحب أن أقتلك ؛ فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل علَى علي ، فتنازلا وتجاولا،

---

[287] تعنق : تسرع .

[288] معلما: له علامة يُعرف بها.

فقتله علىّ رضي للّه عنه وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة[289] .

---

[289] ووقع في مغازى ابن اسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائي فيها زيادة حسنة، رأيت أن أوردها هنا تتميما للخبر.
قال ابن اسحاق : إن عمرو خرج فنادى : هل من مبارز؟ فقام علي رضى الله عنه وهو مقنَّع بالحديد، فقال : أنا له يا نبي اللَه، فقال :إنه عمرو اجلس ، ونادى عمرو ألا رجل يؤنبهم ، ويقول : أفى جنتكم التى تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها، أفلا تبرزون لي رجلا، فقام على، فقال : أنا يا رسول الله، فقال : اجلس إنه عمرو، ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز؟
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القِرن المناجز
وكذاك إنى لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علي ، فقال يا رسول الله ، أنا له فقال : إنه عمرو، فقال : إن كان عمرا: فأذن
له النبي صلى الله عليه وسلم فمشى إليه علي ، حتى أتاه وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ فقال : أنا ابن أبي طالب ، فقال : غيرك يابن أخى من أعمامك من هو أسن منك ، فإني أكره أن أهريق
دمك فقال له علي رضى الله عنه : ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علىّ مغضبا، وذكر أنه كان على فرسه ، فقال له علي : كيف أقاتلك ، وأنت على فرسك ، ولكن أنزل معي ، فنزل عن فرسه ، ثم أقبل نحو علي ، واستقبله على - رضى الله عنه - بدرقته ، فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علىٌّ على حبل العاتق ، فسقط ، وثار العجاج ، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم التكبير، فعرف أن عليا - رضى الله عنه قد قتله ، فثم يقول على رضى الله عنه :

أعلى تقتحم الفوارس هكذا عنى وعنه أخروا أصحابي
فاليوم تمنعنى الفرار حفيظتي ومصمم في الرأس ليس بنابي
أدى عمير حين أخلص صقله صافى الحديدة يستفيض ثوابي
فغدوت التمس القراع بمرهف عضب مع البتراء في أقراب
قال ابن عبد حين شد ألية وحلفت فاستمعوا من الكذاب

ما قاله علي رضوان الله عليه من الشعر في قتله عمرو ابن عبد ود:

قال ابن اسحاق : وقال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نصَر الحجارةَ من سَفاهة رأيه ونصرتُ ربّ محمدٍ بصوابى[290]
فصَدرت حين تركته متجدِّلا كالجذعِ بينَ دكادِكٍ وروابى[291]
وعففتُ عن أثوابِه ولو أنني كنتُ المقطَّرَ بَزَّنى أثوابي[292]
لا تحسِبُنَّ الله خاذلَ دينه ونبيِّه يا معشرَ الأحزابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب .

هجاء حسان عكرمة : قال ابن اسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو؛ فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فر وألقى لنا رمحَه لعلك عِكْرِمَ لم تفعل
وولَّيت تعدو كعدْوِ الظَّليم ما إن تجور عن المَعْدَلِ[293]
ولم تَلقَ ظهرَك مُستأنساً كان قفاك قفا فُرْعُلِ[294]

ألا يفر ولا يهلل فالتقى رجلان يلتقيان كل ضراب

[290] أنه روي : عبد الحجارة، وعبدت رب محمد، وروي في موضع ولقد بحت : ولقد عجبت . والحجارة : الأنصاب التى كانت تعبدها قريش.

[291] الدكادك : الرمال اللينة.

[292] المقطر الذي وقع على قطره وهو جنبه . وبزني : سلبنى .

[293] الظليم : ولد النعام .

[294] الفرعل : ولد الضبع .

قال ابن هشام : الفرعل : صغير الضباع وهذه الأبيات في قصيدةّ له .
شعار المسلمين يوم الخندق : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة : حم لا ينصرون .
استشهاد سعد بن معاذ: قال ابن اسحاق : وحدثني أبو ليلى عبدالله بن سَهْل بن عبد الرحمن بن سَهْل الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حِصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة .
قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب : فمر سعد وعليه دِرع له مُقَلَّصة[295] ، قد خرجت منها ذراعُه كلُّها، وفى يده حربته يرفل بها ويقول :
لبثْ قليلا يشهدُ الهيْجا جَمَلْ لا بأسَ بالموتِ إذا حان الأجَلْ[296]
قال : فقالت له أمه : الحقْ ، أي بني، فقد والله أخَّرت .
قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد[297] ، والله لوددتُ أن دِرعَ سعد كانت أسبغ مما هي ؛ قالت : وخفتِ عليه حيث أصاب السهم منه ، فرُمى سعد بن معاذ بسهم ، فقُطع منه الأكْحَل[298] ، رماه كما حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، حبان بن قَيْس ابن العَرِقَة[299] ، أحد بني عامر

---

[295] مقلصة: قصيرة قد ارتفعت عن حدها.
[296] جمل : اسم رجل .
[297] أم سعد: اسمها: كبشة بنت رافع .
[298] الأكحل : عرق في وسط الذراع .
[299] سعيد بن سعد بن سهم تكنى أم فاطمة، سميت العرقة لطيب ريحها، وهي جدة
خديجة أم أمها هالة، وحبان هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن
عامر بن لؤي . ابن العرقة الذي رمى سعدا هو حبان بن قيس ابن العرقة، والعرقة هي قلابة بنت

ابن لؤي ، فلما أصابه ، قال : خذها منى وأنا ابن العَرِقَة؛ فقال له سعد: عَرَّق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها، فانه لا قوم أحب الي أن أجاهدهم من قوم أذَوْا رسولَك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تمتنى حتى تُقرَّ عينى من بني قريظة.

قاتل سعد بن معاذ: قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبدالله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعدا يومئذ إلا أبو أمامة الجُشَمى، حليف بني مخزوم .

شعر لقاتل سعد: وقد قال ابو أمامة في ذلك شعرا لعكرمة بن أبي جهل :

أعكْرمُ هلا لمتنى اذ تقولُ لي فداك بآطامِ المدينةِ خالدُ[300]
ألستُ الذي ألزمتُ سعدا مُرِشَّة لها بين أثناءِ المرافِقِ عانِدُ[301]
قضي نحبَه منها سُعَيد فاعولت عليه الشُّمْطُ والعذارَى النواهدُ
وأنت الذي دافعْتَ عنه وقد دعا عُبيدةُ جمعا منهمُ إذ يُكابدُ
على حين ما هُم جائر عن طريقِه وآخر مَرعوبٌ عن القصدِ قاصدُ

قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعدا خفاجة بن عاصم ابن حبان .

---

[300] الآطام : الحصون .

[301] مرشة : يريد طعنة مرشة فحذف الموصوف وجاء بالصفة وهو جائز بلاغة أي فجرت منه رشاش الدم . والعاند: العرق الذي لا ينقطع دمه .

حديث حسان في وقعة الخندق : قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عَبَّاد قال : كانت صَفية بنت عبد المطلب في فَارِع ، حِصن حسان بن ثابت قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربتْ بنو قُرَيظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينَهم أحد يدفع عنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم الينا إن أتانا آت.

قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحِصْن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلَّ على عورتِنا مَنْ ورأءَنا من يهود، وقد شُغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأنزل إليه فأقتلْه ؛ قال : يغفر الله لك يابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا.

قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أرَ عنده شيئا، احتجزْتُ[302] ثم أخذتُ عمودا، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل اليه فاسلبْه ، فإنه لم يمنعنى من سَلْبه إلا أنه رجل ، قال : ما لي بسَلْبه من حاجة يابنة عبد المطلب[303] .

---

[302] احتجزت : شدت وسطها.

[303] محمل هذا الحديث عند الناس على أن حسانا كان جبانا شديد الجبن ، وقد دفع هذا بعض العلماء، وانكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، وقال : لو صح هذا لهُجى به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى، وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن اسحاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلا في ذلك اليوم
بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول ، وممن أنكر أن يكون هذا صحيحا
أبو عمر رحمه الله في كتاب الدرر له - عن الروض الأنف من تحقيقنا.

خداع نُعيم المشركين : قال ابن اسحاق : وأقام رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم وأصـحابه ، فيمـا وصـف اللـه مـن الخـوف والشـدة، لتظ اهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال :ثم إن نُعيم بن مسعودبن عامر بن أَيْف بـن ثعلبـة بـن قُنْفُـد بـن هلال بن خَلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يـا رسـول اللـه ، إنـى قـد أسـلمتُ ، وإن قـومى لـم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما أنـت فينـا رجـل واحـد، فخذِّل عنا إن

استطعت ، فإن الحرب خدعة.

فخرج نُعَيم بن مسعود حتى أتـى بنـي قُرَيظـة، وكـان لهـم نـديما فـي الجاهلية، فقال : يا بني قريظة، قد عرَفتم ودي إياكم ، وخاصَّـة مـا بينـى وبينكم ، قـالوا: صـدقتَ ، لسـت عنـدنا بمتهـم ؛ فقـال لهـم : إن قريشـا وغَطَفان ليسوا كانتم ، والبلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسـاؤكم ، لا تقدرون على أن تَحَوَّلوا منه إلى غيـره ، وإن قريشـا وغطف ان قـد ج اءوا لحـرب محمـد وأصـحابه ، وقـد ظـاهرتموهم عليـه ، وبلـدهم وأمـوالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهْزَة[304] أصابوها، وإن كـان غيـر ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوْا بينَكم وبينَ الرجل ببلدكم ولا طاقةَ لكـم بـه إن خلا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القـوم حـتى تأخـذوا منهـم رهنـا مـن أشـرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقـة لكـم على أن تُقـاتلوا معهـم محمـدا حـتى تنـاجزوه ، فقالوا: لقد أشرت بالرأي

ثم خرج حتى أتى قريشا، فقال لأبى سفيان بن حـرب ومـن معـه مـن رجال قريش : قد عَرَفتم ودي لكم وفراقي محمدا، وإنه قد بلغنى

---

[304] النهزة : الفرصة .

أمر قد رأيت عليَّ حقّا أن أبلغكموه ، نُصحا لكـم فـاكتموا عنـي ، فقـالوا: نفعل : قال : تَعَلَّمو أن معشر يهود قد نَدِموا على مـا صـنعوا فيمـا بينَهـم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه : أنا قد ندِمْنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرفهم فنعطيكهـم ،فتضرِب أعناقَهم ثم نكون معك على من بغ ي منهـم حـتى نستأصـلَهم ؟ فارسلَ إليهم : أنْ نعم . فإن بعثتْ إليكم يهود يلتمسون منكـم رهنـا مـن رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

ثم خرج حتى أتى غَطَفـان ، فقـال : يـا معشـر غطفـان ، إنكـم أصـلي وعشيرتى، وأحبّ الناس إلى، ولا أراكـم تتهمـونى ؛ قـالوا: صـدقتَ ، مـا أنتَ عندنا بمهتم ؛ قال : فاكتموا عني ؛ قـالوا: نفعـل ، فمـا أمـرُك ؟، ثـم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذَّرهم ما حذرهم .

ما أنزل الله بالمشركين : فلمـا كـانت ليلـة السـبت مـن شـوال سـنة خمس ، وكان من صُنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، أن أرسل أبــو سفيان ابن حرب ورءوس غَطَفان إلى بني قريظة : عِكْرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مُقام ، قد هلـك الخفُّ والحافر[305] ، فاغدُوا للقتال حتى نناجزَ محمدا، ونَفْرغَ مما بيننا وبينه ؛ فارسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نفعل فيه شـيئا، وقـد كان أحدث فيه بعضُنا حدثا، فاصابه ما لم يَخْفَ عليكـم ، ولسـنا مـع ذلـك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونـون بأيـدينا ثقة لنَا حتى نناجزَ محمدا، فانـا نخشـى إن ضَرَّسـتكم[306] الحـربُ ، واشـتد عليكم القتال أن تَنْشَمروا[307] إلى بلادِكم

---

[305] الخف يريد: الإبل . والحافريريد: الخيل .

[306] ضرستكم : نالت منكم .

[307] تنشمروا : ترجعوا.

وتتركونا، والرجلُ في بلدِنا، ولا طاقة لنا بذلك منـه . فلمـا رجعـتْ إليهـم الرسل بما قالت بنو قُريظـة، قـالت قريـش وغَطَفـان : واللـه إن الـذين حدثكم نُعَيم بن مسعود لحق ، فارسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا نـدفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتـال فـاخرجوا فقـاتلوا، فقالت بنو قُريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذين ذكر لكم نُعَيْم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصـة انتهزوهـا، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم . وخلـوا بينكـم وبيـنَ الرجـل فـي بلدكم ؛ فارسلوا إلى قريش وغطفان : إنا واللـه لا نقاتـل معكـم محمـدا حتى تعطونا رُهُنا فأبَوْا عليهم ، وخذَّل الله
بينَهم ، وبعث اللـه عليهـم الريـحَ فـي ليـالٍ شـاتيةٍ بـاردةٍ شـديدةِ الـبردِ، فجعلت تَكْفأ قدورَهم ، وتطرح أبنيتَهم .
استخبار ما حل بالمشركين : قال فلما انتهى إلى رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم ما اختلف مـن أمرِهـم ، ومـا فـرَّق اللـه مـن جمـاعتهم ، دعـا حُذيفة ابن اليمان ، فبعثه اليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا.
قال ابن اسحاق : فحدثني يزيدُ بن زياد، عن محمـد بـن كعـب القرظـى، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبدالله ، أرايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يابن أخى قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نَجهَد؛ قال : فقال : والله لـو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال : فقـال حذيفة : يابن أخى والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هُوِيًّا[308] من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظـر لنـا م ا فعـل القـوم ثـم يرجـع - يشرط

[308] هويا من الليل : جزءا منه .

له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد؛ فلما لم يقم أحد، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لي بُد من القيام حين دعاني ؛ فقال : يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم ، فأنظر ماذا يصنعون ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئا حتى تأتينَا. قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقر لهم قِدْر ولا نارا ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبى، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان ابن فلان .

أبو سفيان ينادي بالرحيل : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك الكُراع والخف[309] ، وأخلفتْنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولَقينا من شدة الريح ما تَرَوْنَ ، ما تطمئن لنا قِدْر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسكلنا بناء، فارتجلوا فإنى مُرْتَحل ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاثٍ ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليَّ "أن لا تُحدث شيئا حتى تأتيني"، ثم شئت ، لقتلته بسهم .

رجوع حذيفة بالخبر اليقين : قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مِرْطٍ[310] لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن . فلما رآني ادخلني إلى رجليه ، وطَرح عليَّ طَرَف المِرط ، ثم ركع

---

[309] الكراع : الخيل . الخف يريد: الإبل .

[310] المرط : الكساء.

وسجد، وإني لفيه ، فلما سلَّم أخبرته الخبر، وسَمِعَتْ غَطَفان بمـا فعلـت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

الرجوع من الخندق : قال ابن اسحاق : ولما أصبح رسول الله صلى اللـه عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمين ، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة في سنة خمس

جبريل يأتي بحرب بني قريظة : فلما كانت الظهر،أتَى جبريل رسولَ الله صـلى اللـه عليـه وسـلم، كمـا حـدثني الزهـري ، مُعْتَجِـرا[311] بعمامـة مـن إسْتبرق[312] ، على بغلة عليها رِحَالَة[313] ، عليها قطيفـة مـن ديبـاج ، فقـال : أوَقَدْ وضعتَ السـلاح يـا رسـولَ اللـه ؟ قـال : نعـم فقـال جبريـل : فمـا وضعتِ الملائكة السلاحَ بعدُ، وما رجعتُ الآنَ إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسـير إلـى بنـي قُريظـة، فـإنى عامـد إليهـم فمزلزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مُؤذنا، فأذَّن في الناس ، من كـان سامعا مطيعا، فلا يصلينَّ العصر إلَّا ببني قريظة .

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

---

[311] الإعتجار: التعمم على الرأس فقط دون جوانب الوجه او اللحية .

[312] الإستبرق : الديباج الغليظ الصفيق الحسن .

[313] الرحالة : السرج .

علي يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة : قال ابن اسحاق : وقـدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم علـي بـن أبـي طـالب برايتـه إلـى بنـي قُريظة، وابتدرها الناسُ . فسار علـي بـن أبـي طـالب ، حـتى إذ دنـا مـن الحصون سمع منها مقالةً قبيحة لرسول للّه صلى الله عليه وسلم، فرجع حتى لَقِيَ رسولَ للّه صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقـال : يـا رسـول للّه ، لا عليك أن لا تدنو من هـؤلاء الأخـابث ؛ قـال : لـم ؟ أظنـك سـمعت منهم لي أذًى؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأونـي لـم يقولـوا مـن ذلك شيئا، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم . قال : يا إخوانَ القِردَةِ، هـل أخزاكـم اللـه وأنـزل بكـم نقمتـه ؟ قـالوا: يـا أبـا لقاسم ، ما كنتَ جهولا

جبريل في صورة دِحْية الكلبي : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصَّوْرَيْن[314] قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقـال : هـل مر بكم احد؟ قالوا: يا رسول الله ، قد مر بنا دِحْية بن خليفـة الكلـبى[315] ، على بغلة بيضاء عليها رِحَالة، عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قُريظة يزلزل بهم حصـونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قُريظة : نزل على بئر من آبارِها من ناحية اموالهم يقال لها بئر أنا.

قال ابن هشام : بئر أنى.

---

[314] الصورين : الصور القطعة من النخل ، وهي موقع قريب من المدينة .

[315] هو: دحية بفتح الدال ، ويقـال : دحيـة بكسـر الـدال أيضـا، ودحيـة بلسان اليمن الرئيس ، وجمعه دحاء، وفـي مقطـوع الأحـاديث أن النـبى صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور يدخله كل

يوم سبعون ألف دحية، تحت يد كل دحية سبعون ألـف ملـك ، ذكـره القتبي ، ورواه

ابن سنجر في تفسيره مسندا إلى عبدالله بن الهذيل ، رواه عنه أبو التياح .

تجمع المسلمين للقتال : قال ابن اسحاق: وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلُّوا العصر، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلينَّ أحد العصر إلا ببني قريظة، فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم ، وأبوْا أن يصلوا، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: حتى تأتوا بني قريظة " فصلوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنفهم به[316] رسول الله صلى الله عليه وسلم. حدثني

---

[316] وفى هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، فقد صلت
منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا: لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم إخراج الصلاة عن
وقتها، وإنما أراد الحث والإعجال فما عنف أحدا من الفريقين ، وفي هذا دليل على
أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب ، وفى حكم داود وسليمان ، في الحرث أصل لهذا الأصل أيضا، فانه قال سبحانه : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: 79] ولا يستحيل أن يكون الشىء صوابا في حق انسان وخطأ في حق غيره ، فيكون من اجتهد في مسألة فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيبا في استحلاله ،
وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى تحريمها، مصيبا في تحريمها، وإنما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد، وإنما عسر فهم هذا الأمل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالمنصوص ،
فاستحال عندهم أن يكون النص يأتي بحظر، وإباحة معا إلا على وجه النسخ ، وأما المعتزلة، فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ، فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن في حق زيد والقبح في حق عمرو، كما يستحيل ذلك في الألوان ، والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة
بالذوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى، يحكم بالحظر في النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الحظر، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة، كلها صفات أحكام . فكل مجتهد وافق اجتهاده وجها من التأويل ، وكان عنده من أدوات الإجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر، فهو مصيب في اجتهاده مصيب في الحكم الذي تعبد به ، وأن تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به ؟ فلا يعد في ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق - عن السهيلي في كتابه الروض الأنف بتحقيقنا
ج 3 ص 2 28- 28 .

بهـذا الحـديث أبـي : اسـحاقُ بـن يسـار، عـن مَعْبَـد بـن كعـب بـن مالـك الأنصاري .

حصار بني قريظة: قال : وحاصرهم رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم خمسا وعشرين ليلـة، حـتى جهـدهم الحصـار، وقـذف اللـه فـي قلـوبهم الرعب .

وقد كان حُيى بن أخطـب دخـل مـع بنـي قريظـة فـي حصـنهم ، حيـن رجعت عنهم قريش وغَطَفان وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

كعب بن أسد ينصح قومه : فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليـه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزَهم ، قـال كعـب بـن أسـد لهـم : يـا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما تـرون ، وأنـى عـارض عليكـم خلالا ثلاثا؛ فخذوا أيها شئتم ؛ قالوا: وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجـل ونصـدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مُرْسَـل ، وأنـه للـذي تجـدونه فـي كتـابكم ، فتأمَنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا: لا نفارق حكـم التوراة أبدا، ولا نستبدل بـه غيـره ؛ قـال : فـإذا أبيتـم علـى هـذه ، فهلـمّ فلنقتل أبناءَنـا ونسـاءَنا، ثـم نخـرج إلـى محمـد وأصـحابه رجـالا مُصْـلِتين السيوفَ ، لم نترك وراءنا ثَقَلا، حتى يحكـم اللـه بيننـا وبيـن محمـد، فـإن نَهْلِك نهلِك ، ولم نـترك وراءَنـا نسـلا نخشـى عليـه ، وإن نظهـر فلعَمْـرِي لنجدنَّ النساءَ والأبناءَ قالوا: نقتـل هـؤلاء المسـاكين ! فمـا خيـر العيـش بعدَهم ؟ قال : فإن أبيتم علي هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها، فأنزلوا لعلنـا نُصـيبُ مـن محمـد وأصحابه غِرَةً، قالوا: نُفسد سَبْتنَا علينا، ونحدث فيه مالم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المسخ ! قـال : مـا بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما.

قصة أبي لبابة في هذه الغزوة : قال : ثم أنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعثْ إلينا أبا لُبابة[317] بن عبد المنذر، أخا بني عمرو ابن عوف وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ فلما رأوْه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساءُ والصبيان يبكون في وجهه ، فرَقَّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لُبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقِه ، إنه الذبح .
قال أبو لُبابة: فوالله ما زالت قَدَماي من مكانهما حتى عرفتُ أني قد خنت الله ورسولَه صلى الله عليه وسلم.
ثم أنطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُده ، وقال : لا أبرْحُ مكاني هذا حتى يتوبَ الله علىَّ مما صنعتُ ؛ وعهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبدا، ولا أرى في بلد خُنت الله ورسولَه فيه أبدا.
ما نزل في أبي لبابة: قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة، فيما قال سفيان بن عيينة، عن اسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله بن أبي قَتادة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].
قال ابن اسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ،

[317] هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل : اسمه مبشر، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحله إلا رسول الله صلى وفيه أنزل الله تعالى:
﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ [التوبة: 102] غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان ، فقال ابن اسحاق ما ذكره في السيرة من اشارته على بني قريظة، وقال آخرون : كان من المخلفين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

قال : أما انه لو جاءني لاستغفرتُ له ، فأما إذْ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوبَ الله عليه .

توبة الله على أبي لبابة : قال ابن اسحاق : فحدثني يزيدُ بن عبدالله بن قُسَيْط : إن تَوْبة أبي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحَر، وهو في بيت أم سلمة . فقالت أم سلمة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك قالت : فقلت : مِمَّ تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سِنَّك . قال : تيب على أبي لبابة. قالت : قلت : أفلا أبشره يا رسول الله ! قال : بلى، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضربَ عليهم الحجابُ ، فقالت : يا أبا لُبابة، أبشر فقد تاب الله عليك قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى يكونَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده ؛ فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

ما نزل في توبة أبي لبابة : قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مُرتبطا بالجِزع ستِّ ليالٍ ، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة، فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثني بعضُ أهل العلم ، والآية التي نزلت في توبته قول الله عز وجل : وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ.[التوبة: 102]

إسلام بعض بني هَدْل : قال ابن اسحاق : ثم ان ثعلبة بن سعية، واسَيد بن سَعْية، أسد بن عبيد، وهم نفر من بني . هَدْل ، ليسوا من بني قُريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصة عمرو بن سُعْدَى: وخرج في تلك الليلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظى، فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه محمد بن مسلَمة تلك

الليلة؛ فلما رآه قال : من هذا؟ قال أنا عَمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبي أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا - فقال محمد بن مَسْلَمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ، ثم خلَّى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى بابَ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ؛ فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائِه . وبعضُ الناس يزعم أنه كان أوثق برِمَّة[318] فيمن أوثق من بني قريظة، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصبحت رمته مُلقاة، ولا يُدْرَى أين يذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة، والله أعلم أي ذلك كان .

تحكيم سعد في أمر بني قريظة : قال : فلما أصبحوا نزلوا على حكمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتواثبت الأوْسُ ، فقالوا: يا رسول اللهَ ، إنهم موالينا دونَ الخزرج ، وقد فَعَلْت في موالى إخواننا بالأمس ما قد عَلمت - وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبْل بني قريظة قد حاصر بني قَيْنُقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدالله ابن أبي ابن سَلُول ، فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشرَ الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا: بلى؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسْلم ، يقال لها رُفَيْدة[319] ، في مسجده ، كانت تداوي الجرحَى،

---

[318] الرمة: الحبل البالى .

[319] وقيل أنها أنصارية من أسلم

وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت بـه ضَـيْعة مـن المسـلمين، وكـان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـد قـال لقـومه حي ن أصـابه السـهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رُفَيْدة حتى أعودَه مـن قريـب . فلمـا حكمـه رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي بنـي قريظـة، أتـاه قـومه فحملـوه على حمار قد وَطَّئـوا لـه بوسـادة مـن أدَم وكـان رجلا جسـيما جميلا، ثـم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم، وهـم يقولـون : يـا أبـا عَمْرو، أحسنْ في مواليك ، فإن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم إنمـا ولاك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكـثروا عليـه قـال : لقـد أنـى لسـعد أن لا تأخذه في الله لوْمة لائم . فرجع بعض من كـان معـه مـن قـومه إلـى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجالَ بني قريظة، قبل أن يصـل إليـه سـعد، عن كلمته التى سمع منه .

فلما أنتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيِّدكم - فأما المهـاجرون مـن قريـش، فيقولـون : إنمـا أراد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الأنصارَ؛ وأما الأنصار: فيقولون : قد عَمَّ بها رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم.

فقاموا إليه ، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حَكمْتُ ؟ قالوا: نعم . وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مُعْرِض عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ؛ قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تُقْتَل الرجالُ ، وتُقَسَّـم الأموالُ ، وتسْبَى الذراري والنساء[320].

---

[320] الذراري : الذرّ النسل والذرية فعلية من الذرّ وهم الصغار وتكون الذرّيـة واحـدا وجمعـا وفيهـا ثلاث لغـات أفصـحها ضـم الـذال وبهـا قـرأ السبعة والثانية كسرها ويروى عن
زيد بن ثابت والثالثة فتح الذال مع تخفيف الراء وزان كريمة وبها قرأ أَبَانُ ابن عثمان ، وتجمع على ذرّيات وقد تجمع على الذراريّ . المصباح المنير.

رضاه عليه الصلاة والسلام بحكم سعد: قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد:"لقدحكمتَ فيهم بحكمِ الله من فوقِ سبعةِ أرقعة"[321] .

علي ينهي المعركة لصالح المسلمين: قال ابن هشام : حدثني بعضُ من أثق به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم ، فقالوا: يا محمد، ننزل على حكم سعد بن معاذ.

حبس بني قريظة ومقتلهم : قال ابن اسحاق : ثم استُنزلوا، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث[322] ، امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة، التي هى سوقها

---

[321] الأرقعة : هكذا في السيرة : أرقعة، وفى الصحيح : من فوق سبع سماوات ، والمعنى
واحد، لأن الرقيع من أسماء السماء، لأنها رُقعت بالنجوم ، ومن أسمائها: الجرباء
وبرقع ، وفي غير رواية البكائى أنه عليه السلام قال في حكم سعد: بذلك : طرقني
الملك سحرا ،.
وفيه من الفقه تعليم حسن اللفظ إذا تكلمت بالفرق مخبرا عن الله سبحانه الا تراه
كيف قال : بحكم الله من فوق سبع سماوات ، ولم يقل فوق ، على الظرف ،
فدل على أن الحكم نازل من فوق ، وهو حكم الله تعالى، وهذا نحو من قوله
تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:50] أى يخافون عقابا ينزل من فوقهم ، وهو عقاب ربهم .
فان قيل : أوليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سبع سماوات ؟
قلنا: ليس في هذه الآية، ولا في هذا الحديث دليل على اطلاق ذلك ، فإن جاز فبدليل آخر.

[322] واسمها: كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كريز.

اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث اليهم ، فضرب أعناقَهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه أرْسالا[323]، وفيهم عدو الله حُيى بن أخطب ، وكعب بن أسد، رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة .

وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارْسالا: يا كعب ، ما تراه يصنع بنا؟ قال : أفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا يَنْزِع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتلُ ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مقتل ابن أخطب : وأتي بحُيى بن أخطب عدو الله ، وعليه حُلة له فقّاحية[324] - قال ابن هشام : فقاحية : ضرب من الوَشْي - قد شقها عليه من كل ناحية قدْرَ أنملة لئلا يُسْلَبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ، ثم جلس فضُربت عنقه .

شعر جبل في مقتل حيي بن أخطب : فقال جبل بن جوال الثعلبى:

لعَمْرك ما لام ابنُ أخطبَ نفسَه ولكنه من يخذُل الله يُخذلِ

لجاهد حتى أبلغَ النفسَ عذرَها وقلقَل يبغى العزَّ كل مُقلقِلِ[325]

---

[323] أرسالا: طائفة وراء أخرى.

[324] فقاحية : تضرب إلى لون الحمرة .

[325] قلقل :تحرك .

قتل امراة من نسائهم وسببه : قال ابن اسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تَحَدَّث معى، وتضحك ظهرا وبطنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالَها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها: ويلك ؛ مالك ؟ قالت : أقتل : قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؟ قالت : فانطلق بها، فضُرب عنقها؟ فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجبا منها طَيبَ نفسها وكثرة ضَحِكها، وقد عَرفت أنها تُقتل[326] .

قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سُوَيد فقتلته .

قصة الزبير بن باطا: قال ابن اسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري ، أتى الزبير[327] ابن باطا القُرَظى، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية، ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعَاث ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلَّى سبيلَه - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟

---

[326] في هذا الحديث دليل لمن قال بقتل المرتدة من النساء، أخذا بعموم قوله عليه السلام : من بدَّل دينه ، فاضربوا عنقه ، وفى هذا الحديث مع العموم قوة أخرى، وهو تعليق الحكم بالعلة، وهو التبديل والردة، ولا حجة مع هذا لمن زعم من أهل العراق
بأن لا تقتل المرأة لنهيه عليه السلام عن قتل النساء والولدان ، وللإحتجاج للفريقين ،
وما نزل به كَل واحد منهم موطن غير هذا - انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد

لابن رشد - من تحقيقنا.

[327] هو الزبير بفتح الزاي وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح ، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزبير بفتح الزاي وكسر
الباء كاسم جده وقيل الزُّبير، وهو قول البخاري في التاريخ .

قال . وهل يجهل مثلى مثلَك ؛ قال : أنى قد أردت أن أجزيَك بيدك عندي ، قال : إن الكريمَ مُجزى الكريم .
ثم أتى ثابتُ بنُ قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزبير علىّ مِنة، وقد أحببتُ أن أجزيَه بها، فهب لي دمَه ؟ فقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم : هـو لـك فأتـاه، فقـال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهـب لـي دمَـك ، فهـو لـك ، قـال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟
قال : فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بـأبى أنـت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولدَه ؟ قال : هم لك : قـال : فأتـاه فقال : قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدَك ، فهم لك قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟
فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يـا رسـول اللـه، ماله ، قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ، فهو لك . قال : أى ثـابت ، مـا فعـل الـذي كـان وجهـه مرآة صِينية يتراءى فيها عَذارَى الحي ، كعبُ بن أسد؟ قال : قُتل ، قـال : فما فعل سيد الحاضر والبادي حييَ بـن أخطـب ؟ قـال : قُتـل قـال فمـا فعل مُقَدِّمتنا إذا شددنا، وحاميتُنـا إذا فررنـا، عَـزال بـن سَـمَوْأل ؟ قـال : قتل : قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة؛ قال : ذهبوا قتلوا؟ قال : فإنى أسألك يا ثابت بيـدي عنـدك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاءِ من خير، فما أنـا بصـابر لله فَتلة دَلو ناضح[328] حتى ألقى الأحبة، فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

[328] الناضح : الحبل . والمعنى مقدار ما يأخذ الرجل من الدلو لصبها في الحوض .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله " ألقى الأحبة ". قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا.

قال ابن هشام : قبلة دلو ناضح . قال زهير بن أبي سُلْمى فـي " قبلـة ":

وقابِلٍ يتغنَّى كلما قَــدَرَتْ على العَرَاقي يداه قائما دَفَقَا

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : ويروى: وقابل يتلقى، يعني قابل الدلو[329] يتناول .

أمر عطية القرظي ورفاعـة بـن سـمؤال : قـال ابـن اسـحاق : وكـان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .

قال ابن اسحاق : وحـدثني شُـعبة بـن الحجـاج ، عـن عبـد الملـك بـن عُمير، عن عطية القرظـى[330]، قـال : كـان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم قد أمر أن يُقتل من بني قريظة كل من أنبـت منهـم وكنـتُ غلامـا، فوجدوني لم أنبت ، فخلوا سبيلي[331] .

قال ابن إسحاق : وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبـدالله بـن أبـي صعصعة أخو بني عدي بن النجـار: أن سَـلْمَى بنـت قيـس[332] ، أم المنـذِر، أخت سليط ابن أخت سليط بن قيس - وكانت احدى خالات رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، قـد صـلّت معـه القبلـتين ، وبـايعته بيعـة النسـاء - سالته

---

[329] قابل الدلو: هو الذي يأخذها من المستقى .

[330] عطيةالقرظي : هو جد محمد بن كعب القرظى.

[331] ففي هذا الحديث أن الإنبات أصل في معرفة البلوغ إذا جهل الإحتلام ، ولم تُعرف سنوه . والإنبات هو ظهور شعر العانة.

[332] وقع في تاريخ البخاري أن أيوب نفسه هو المخبر أن سلمى بنت قيس هي : سلمى بنت أيوب بن عبد الرحمن بن عبدالله وهو الصحيح والله أعلم .

رفاعةَ بن سمؤال القُرظي ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بهـا، وكـان يعرفهـم قبل ذلك ، فقالت : يا نبى الله ، بأبى أنت وأمي ، هَبْ لي رفاعة، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها، فاستَحْيته .

تقسيم الفيء : قال ابـن اسـحاق : ثـم أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم قسم أمـوال بنـي قريظـة ونسـاءَهم وأبنـاءَهم علـى المسـلمين ، وأعلم في ذلـك اليـوم سُـهمان الخيـل وسُـهمان الرجـال ، وأخـرج منهـا الخُمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سـهمان ولفارسـه سـهم ، وللراجل من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يومَ بني قريظـة سـتة وثلاثين فرسا، وكان أول فيء وقعت فيه السُّهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السُّنة في المغازي . ثم بعث رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشْهل بسبى من سبايا[333] بني قُريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

إسلام ريحانة: قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلمّ قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافَة، إحـدى نسـاء بنـي عمـرو ابن قُريظة، فكانت عند رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم حـتى تُـوفي عنها وهى في مِلكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم عـرض عليها أن يتزوجها، ويضربَ عليها الحجابَ ؛ فقالت : يـا رسـول اللـه ، بـل تتركنى في ملكك ، فهـو أخـف علـى وعليـك ، فتركهـا. وقـد كـانت حيـن سباها قد تعصَّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية، فعزلهـا رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم، ووجد في نفسه لذلك من أمرِها. فبينا هو مـع أصـحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفَه ؛ فقال :

---

[333] سبايا: سبيت ، العدوّ سبيا من باب رمى والإسم السباء وزان كتاب والقصر لغة وأسبيته مثله فالغلام سَبِىّ ومَسبِي والجارية سبية ومسبية وجمعها سبايا. عن المصباح المنير.

إن هذا لثعلبة بن سَعْية يبشرني باسلام رَيْحانة؟ فجاءه فقال : يـا رسـول الله، قد أسلمت رَيْحانة، فسره ذلك من أمرها"

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة : قـال ابـن اسـحاق : وأنـزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بنـي قريظـة مـن القـرآن، القصـة فـي الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًـا وَجُنُـودًا لَـمْ تَرَوْهَا وَكَـانَ اللـه بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرًا} [الأحـزاب: 9]. والجنـود قريـش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود الـتي أرسـل اللـه عليهـم مـع الريـح الملائكة . يقول الله تعالى :{ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِـنْ أَسْـفَلَ مِنْكُـمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَـارُ وَبَلَغَـتْ الْقُلُـوبُ الْحَنَـاجِرَ[334] وَتَظُنُّـونَ بِـالله الظُّنُـونَ} [الأحزاب: 10] فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظـة، والـذين جـاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفـان . يقـول اللـه تبـارك وتعـالى :{ هُنَالِـكَ ابْتُلِيَ

---

[334] قـوله تعـالى : ﴿وَبَلَغَـتْ الْقُلُـوبُ الْحَنَـاجِرَ﴾ [الأحـزاب: 10] والقلـب لا ينتقـل مـن موضـعه ، ولـو أنتقـل إلـى الحنجـرة لمـات صـاحبه ، واللـه سبحانه لا يقول إلا الحـق ، ففـي هـذا دليـل علـى أن المتكلـم بالمجـاز على جهة المبالغـة، فهـو حـق إذا فهـم المخـاطب عنـك ، وهـذا كقـوله تعالى : ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: 77] أى مثله كمثـل مـن يريـد أن يفعل الفعـل ، ويهـم بـه ، فهـو مـن مجـاز التشـبيه ، وكـذلك هـؤلاء مثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المنخلـع قلبـه من موضعه ، وقيل : هو على-حذف المضاف ؟ تقديره : آ بلـغ وجيـف القلـوب الحنـاجر وأمـا قـوله : ﴿إِذْ الْقُلُـوبُ لَـدَى الْحَنَـاجِرِ ﴾ [غافر: 18] فلا معنى لحمله على المجاز، لأنه فـي صـفة هـول القيامـة والأمر فيه اشد مما تقدم ، لا سيما وقد قال في أخرى : ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: 43]، أى قد فارق القلب الفؤاد، وبقي فارغا هواء، وفي هذا دليل على أن القلب غير الفـؤاد، كـان الفـؤاد هـو غلاف الغلب ، ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل اليمن : أليـن قلوبـا وأرق افئـدة مـع قـوله تعـالى : ﴿فَوَيْـلٌ لِلْقَاسِـيَةِ قُلُـوبُهُمْ﴾ [الزمر: 22] ولم يقل للقاسية افئدتهم ، والقسوة ضد اللين ، فتأمله .

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: 11، 12] لقول مُعَتِّب بن قشير إذ يقول ما قال{وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } [الأحزاب: 13] لقول أوس بن قَيْظي ومن كان على رأيه من قومه{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا} [الأحزاب: 14]: أى المدينة. قال ابن هشام : الأقطار: الجوانب ؟ وواحدها: قطر، وهي الإقتار، وواحدها: قتر.

قال الفرزدق :

كم من غِنًى فتح الإلهُ لهم بــه والخيلُ مُقْعيةٌ على الأقطارِ[335]

ويروى : " على الأقتار . وهذا البيت في قصيدة له.

ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ [الأحزاب: 14] : أي الرجوع إلى الشرك لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا [الأحزاب: 14، 15] فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا، فذكر لهم الذين أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا* قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا* قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ [الأحزاب: 16،18][336]: أي أهل

---

[335] مقعية: أى سقطت على أجنابها تريد القيام .

[336] وقوله تعالى: قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ أى المخذلين لإخوانهم : فيعوقونهم بالتخذيل عن الطاعة . لقولهم : هلم إلينا، تقول : عاقني الأمر عن كذا، وعوقني فلان عن كذا، أى صرفنى عنه .

النفاق ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي إلا دفعا وتعذيرا[337] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي للضغن الذي في أنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ﴾: أي إعظاما له وفرقا منه ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾؛ أي في القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرةً، ولا تحملهم حِسْبة[338] ، فهم يهابون الموت هيبةَ من لا يرجو ما بعده .
قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذوكم .
تقول العرب : خطيب سَلاق ، وخطيب مِسْلَق ومِسْلاق . قال أعشى بني قَيْس بن ثعلبة :

فيهم المجدُ والسماحةُ والنجـ ـدةُ فيهمُ والخاطبُ السَّلاقُ

وهذا البيت في قصيدة له .
﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ قريش وغطفان ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 20].
ثم اقبل على المؤمنين فقال :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: أي لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .
ثم ذكر المؤمنين وصدقَهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهِ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22]

---

[337] التعذير: أن يفعل الشيء بغير نية وغرضه أن يعذر أمام الناس
[338] الحسبة : طلب الأجر.

: أي صبرا على البلاء وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق ، ولما كان الله تعالى وعدهم ورسولُه صلى الله عليه وسلم ثم قال : ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾

: أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استُشهد يوم بدر ويوم أحدا قال ابن هشام : قضي نحبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة، وجمعه : نحوب . قال ذو الرِّمَّة :

عَشيَّة فر الحارِثيون بعدما قضى نحبَه في مُلتقَى الخيلِ هَوْبَرُ

وهذا البيت في قصيدة له . وهَوْبَر. من بني الحارث بن كعب ، أراد: يزيد بن هَوْبر. والنحْب أيضا. النذر: قال جرير بن الخَطفى:

بطِخْفَةَ جالدنا الملوكَ وخيلُنا عَشِيةَ بِسْطَامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول : على نَذْر، كانت نَذَرت أن تقتله فقتلته ، وهذا البيت في قصيدة له . وبِسْطام : بسطام بن قَيس بن مسعود الشيْباني ، وهو ابن ذي الجَدِّين . حدثني أبو عُبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار. وطِخْفَة: موضع بطريق البصرة .

والنحب . الخِطَار، وهو الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نَحَبَتْ كلب على الناسِ أينا علىالنحْبِ أعطى للجزيلِ وأفضلُ

والنحب : البكاء. ومنه قولهم ينتحب . والنحب : الحاجة والهمة، تقول . ما لي عندهم نحب . قال مالك بن نُوَيْرة اليربوعى:

وما لِيَ نحب عندَهم غيرَ أننى تلمسْتُ ماتبغي من الشدُنِ الشُّجْر[339]

---

[339] الشدن : الإبل الشدية منسوبة إلى شدن بلدة باليمن . الشجر: التي في أعينها حمرة.

وقال نَهار بن تَوْسِعَة، أحدُ بني تيم اللات بن ثعلبة بن عُكَابة ابن صعب بن علي بن بكربن وائل . قال ابن هشام : هؤلاء موالى بني حنيفة :

ونَجَّى يوسفَ الثقفىَّ رَكْضٌ دِرَاكٌ بعدَ ما وقع اللواءُ[340]
ولو أدركْنَه لقضيْن نحبــا به ولكلِّ مُخْطَأةٍ وِقاءُ

والنحب أيضا: السير الخفيف المَرّ.

قال ابن اسحاق : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ : أي ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى :﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]: أي ما شكُّوا وما ترددوا في دينهم ، وما استبدلوا به غيره . ﴿لِيَجْزِيَ الله الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا* وَرَدَّ الله الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ﴾: أي قريشا وغَطَفان﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى الله الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ الله قَوِيًّا عَزِيزًا* وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ ﴾: اي بني قريظة ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها.

قال ابن هشام : قال سُحَيْم عَبْد بني الحَسْحَاس ، وبنو الحَسْحَاس من بني اسد بن خُزَيمة :

وأصبحت الثيرانُ صرعى وأصبحت نساءُ تميمٍ يَبتدِرْنَ الصَّيَاصِيَا[341]

---

[340] دراك : متتابع .

[341] الصياصيا: يقول السهيلى في كتابه الروض الأنف : ألفيت في حاشية الشيخ أبي بحر رحمه الله على هذا البيت : الصياصى : قرون الثيران المذكورة فيه لا ما توهَّم ابن هشام أنها الحصون والآطام ، يقول : لما أهلك هذا السيل الثيران وغرقها أصبحت نساء تميم يبتدرن أخذ قرونها، لينسجن بها البجد، وهي الأكسية، قال هذا يعقوب بن السكيت عن الأصمعى، ويصحح هذا أنه لا حصون في بادية الأعراب ، قال السهيلى: ويصحح هذا التفسير أيضا رواية أحمد بن داود له ، فإنه أنشده في كتاب ،النبات، له ، فقال فيه يلتقطن الصياصيا ولم يقل : يبتدرن .

وهـذا الـبيت فـي قصـيدة لـه [342]والصياصـى : القـرون . قـال النابغـة الجعدي :

وسادةَ رهطي حتى بَقِيـ ـتُ فردا كصيصَةِ الأعْضَبِ

يقول : أصاب الموتُ سادةَ رهطي . وهذا البيت في قصـيدة لـه . وقـال أبو دواد الإِياديُ :

فذَعَرْنا سُحْمَ الصياصي بأيديـ ـهن نَصْحٌ من الكُحَيْلِ وقارِ[343]

وهذا البيت في قصيدة لـه والصياصـي أيضـا: الشـوك الـذي للنسـاجين ، فيما أخبرنى أبو عُبَيدة . وأنشدني لدرَيد بن الصّمَّة الجُشَمي ، جُشَم ابـن معاوية بن بكر بن هوازن :

نظرتُ إليه والرماحُ تنوشُه كوقعِ الصَّياصي في النسيجِ الممددِ[344]

وهذا البيت في قصيدة له . والصياصى أيضا: التى تكون في أرجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار، والصياصي أيضا: الأصول . أخبرنى أبو عبيـدة أن العرب تقول : جذَّ الله صيصيته : أي أصله .

قال ابن اسحاق : وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِـرُونَ فَرِيقًا [الأحزاب: 25،26]: أي قتل الرجال ، وسبي الـذراري والنسـاء، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا. يعني خيبر وَكَـانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا [الأحزاب: 27].

---

[342] الأعضب : مكسور القرن .

[343] السحم : السود. الصياصى : القرون ، الكحيل : القطران . القار: الزفت .

[344] تنوشه : تناوشوا بالرماح تطاعنوا بها. عن المصباح المنير.

إكرام سعد في موته: قال ابن اسحاق : فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحُه ، فمات منه شهيدا. قال ابن اسحاق : حدثني مُعاذ بن رفاعة الزرَقى، قال : حدثني من شئت من رجال ،قـومي : " أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم حيـن قبـض سعدَ بن معاذ من جوف الليل معتجـرا بعمامـة مـن اسـتبرق ، فقـال : يـا محمد، من هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء، واهتز لـه العـرشُ[345] ؟ قال : فقام رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم سـريعا يجـر ثـوبَه إلـى سعد، فوجده قد مات ".

---

[345] حديث اهتزاز العـرش ثـابت مـن وجـوه وفـي بعـض ألفـاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجرا بعمامـة مـن اسـتبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء واهـتز لـه العرش ؟ ، وفى حديث آخر قال عليه السلام :

لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون الـف ملـك مـا وطئـوا الأرض قبلها ويذكر

أن قبره وُجد منه رائحة المسك ، وقال عليه السلام : لـو نجـا أحـد من ضغطة القبر لنجا سعد".

وقد تكلم الناس فـي معنـاه ، وظنـوا أنـه مشـكل ، وقـال بعضـهم : الإهتزاز هاهنا بمعنى الإستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة، اسـتبعادا منهـم لأن يهـتز العـرش علـى الحقيقة، ولا بعد فيه ، لأنه مخلـوق ، وتجـوز عليـه الحركـة والهـزة، ولا يعدل عن ظاهر اللفظ ، ما وجد اليـه سـبيل ، وحـديث اهـتزاز العـرش لموت سعد صحيح ، قال أبو عمـر: هـو ثـابت مـن طـرق متـواترة، ومـا روي من قول البراء بن عازب فـي معنـاه : أنـه سـرير سـعد اهـتز لـم يلتفت اليه العلماء، وقالوا: كانت

بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن وفي لفظ الحديث : اهتز عـرش الرحمن ، رواه

أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخاري من طريـق الأعمـش عـن أبي صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر، منهم أبو سعيد الخدري ، وأسـيد بـن حُضَـير ورُميثـة بنـت عمـرو، ذكر ذلك الترمذي ، والعجب لما روي عن مالك رحمه اللـه مـن انكـاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله ، وكرة الرواة لـه ، ولعـل هذه الرواية لم تصح عن مالك - والله أعلم . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج 3 ص ه 8 2، 86 2.

قال ابن اسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر، عن عَمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلتْ عائشةُ قافلةً م ن مكة، ومعها أسَيْد بن حُضَيْر، فلقيه موتُ امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أصبت بابن عمك ، وقد اهتزَّ له العرش .

قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البَصْري ، قال : كان سعد رجلا بادنا، فلما حمله الناس وجدوا له خِفةً فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادِنا، وما حملنا من جنازة أخفَّ منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " وإن له حملةً غيرَكم " ، والذي نفسي بيده ، لقد استبشرت الملائكةُ برِوْحِ سعدٍ ، واهتز له العرشُ ". قال ابن اسحاق : وحدثني مُعاذ بن رِفاعة، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجَموح ، عن جابر بن عبدالله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، سبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبَّح الناسُ معه ؟ ثم كبَّر فكبَّر الناسُ معه ، فقالوا: يا رسول الله ، مِمَّ سبحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبرُه ، حتى فرَّجه الله عنه . قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : " قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم إن للقبرِ لضَمَّة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ ". قال ابن اسحاق : ولسعد يقول رجلٌ من الأنصار:

وما اهتزعرش الله من موتِ هالكٍ سَمِعْنا به إلا لسعدٍ أبي عَمْرِو

وقالت أم سعد، حين احتُمل نعشه وهي تبكيه - قال ابن هشام - وهي كُبَيْشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد ابن الأبْجَر، وهو خُدْرَة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج :

وَيْلُ أمِّ سعدٍ سعـــــدَا صَرَامةً وحَدّا
وسُوددا ومَجْـــــــدا وفارسا مُعَدّا
سُدَّ به مَسَـــــــدَّا يَقُدُّ هَاما قدّا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كـلُّ نائحـة تكـذب ، إلا نائحـةُ سعدِ بن معاذ".

الشهداء يوم الخندق : قال ابن اسـحاق : ولـم يُستشـهد مـن المسـلمين يومَ الخندق إلا ستة نفر.

من بني عبد الأشـهل : سـعدُ بـن معـاذ، وأنـس بـن أوْس بـن سـتيك ابـن عمرو، وعبدُالله بن سَهْل . ثلاثة نفر.

ومن بني جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنـي سَـلَمة : الطُّفَيـل بـن النعمـان ، وثعلبة بن غنَيْمة . رجلان.

ومن بني النجار، ثم من بني النجار: كعب بن زيد، أصابه سهم غَـرْب[346] ، فقتله . قال ابن هشام : سهمُ غربٍ وسَهْم غَرْب ، بإضافة وغير اضافة، وهو الذي لا يعرف من أين جاء ولا مَنْ رمى به .

قتلى المشركين : وقُتل من المشركين ثلاثة نفر.

من بني عبد الدار بن قصى : مُنبِّه بن عثمان بن عُبَيْد بن السَّـباق ابـن عبد الدار، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن مُنَبِّه بن عُبَيد بن السباق .

---

[346] سهم غرب : فيه لغات السكون والفتح وجعله مع كل واحد صفة لسهم ومضافا إليه أي لا يُدرَي من رَمَى به .

قال ابن إسحاق : ومن بني مخزوم بن يَقَظة: نَوْفل بن عبدالله ابن المغيرة، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسدَه ، وكان اقتحم الخندق ، فتورَّط فيه ، فقُتل ، فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجةَ لنا في جسده ولا بثمنه ، فخلَّى بينهم وبينه . قال ابن هشام : اعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرةَ الأف درهم ، فيما بلغني عن الزهري .

قال ابن اسحاق : ومن بني عامر بن لؤي ، ثم من بني مالك ابن حِسْل : عمرو بن عبد وُدّ قتله على بن أبي طالب رضوان الله عليه . قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حُدِّث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل على بن ابى طالب يومئذ عمرو بن عبد وُدّ وابنه حِسْل ابن عمرو.

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد وُدّ، ويقال : عمرو بن عَبْد.

الشهداء يوم بني قريظة : قال ابن إسحاق : واستُشهد يوم بني قريظة من المسلمين ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : خَلاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو، طُرحت عليه رحى[347] ، فشدخته شدخا شديدا، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيدين ". ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أخو بني أسد بن خُزَيمة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة، فدُفن في مقبرة بني قريظة التي يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتَهم في الإسلام .

---

[347] الرحى : مقصور الطاحون . فشدخته : شدخت رأسه -شدخا من باب نفع كسرته ، وكل عظم أجوف إذا كسرته فقد شدخته . - وانظر المصباح المنير في نفس المادة شدخ

ولما انصرف أهلُ الخندقِ عن الخنـدقِ ، قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم فيما بلغنى : " لَن تغزوكم قريش بعد عـامكم هـذا، ولكنكـم تغزونهم ". فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة.

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

ما قال ضرار بن الخطاب :

قال ضرار بن الخطاب بن مِـرْداس ، أخـو بني محارب بن فِهْر، في يوم الخندق :

ومُشْفقةٍ تظنُّ بنا الظنونَـا وقد قُدْنا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا[348]
كان زُهاءَها أحُد إذا مـــا بَدتْ أركانه للناظرينَا
ترى الأبدانَ فيها مُسْبغاتٍ على الأبطالِ واليَلَبَ الحصينَا[349]

وجُرْدا كالقِداحِ مُسَوَّمَـاتٍ نَؤُمُّ بها الغُواةَ الخاطيينا
كأنهمُ إذا صالوا وصلنـــا ببابِ الخنْدقَيْن مصافحونَا
أناس لا ترى فيهم رِشيــدا وقد قالوا ألسْنا راشدِينَا
فأحْجَرناهمُ شهرا كَرِيتـــا وكنا فوقَهم كالقاهرِينَا[350]
نراوحُهم ونغدو كلَّ يـــومٍ عليهم في السلاحِ مدجَّجينَا
بأيدينا صوارمُ مُرهفـــاتٌ نَقُدُّ بها المفارقَ والشّئونَا[351]
كأن وميضهنَّ مُعَرّبـــات إذا لاحتْ بأيْدِي مُصلتينا[352]

---

[348] العرندسة : الشديدة، صفة لموصوف محذوف أي كتيبة.

[349] الأبدان : الدروع . اليلب : الترسة، وقيل : الدرق ، وقيل : بيضات ودروع كانت تتخذ من جلود الإبل .

[350] كريتا : كاملا .

[351] الشئون : مجمع عظام الراس . صوارم : صرم السيف احتدّ، وسيف صارم قاطع .

[352] المُصلت : الذي جرد سيفه من غمده .

وميضُ عَقيقةٍ لمَعْت بليـــلٍ ترى فيها العقائقَ مُسْتَبينا[353]
فلولا خندق كانوا لديـــــه لدمَّرنا عليهم أجمعينَا
ولكن حَالَ دونَهمُ وكانـــوا به من خوفِنا متعوِّذينا
فإن نرحلْ فإنا قد تركنـــا لدى أبياتِكم سعدا رهينَا
إذا جن الظلامُ سمعتَ نَوْحَـي على سعدٍ يُرجِّعْنَ الحنينَا
وسوف نزوركم عما قريـــب كما زرناكمُ متوازِرينا
بجمعٍ من كنانة غير عُـــزْل كأسْدِ الغابِ قد حَمَتِ العَرينَا

كعب بن مالك يرد على ضرار: فأجابه كعب بن مالك ، أخو بني سلمة، فقال :

وسائلةٍ تُسائلُ ما لَقينـــا ولو شهدتْ رأتْنا صابِرينَا
صَبْرنا لا نرى للّهِ عَـــدْلا على ما نابنا مُتوكِّلينَا
وكان لنا النبيُّ وزيرَ صِـــدْق به نعلو البريةَ أجمعينَا
نقاتلُ مَعْشرا ظلموا وعَقُّـــوا وكانوا بالعداوةِ مُرْصِدينا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينـــا بضربٍ يُعْجِلُ المتسرِّعينَا
ترانا في فضافِضَ سابغـــاتٍ كغُدُرانِ المَلا متسربلينا[354]
وفى أيْمانِنا بيض خِفـــاف بها نشْفى مِرَاح الشاغبينا
بباب الخنْدَقَيْنِ كان أسْـــدا شَوَابِكُهُنَّ يَحْمين العَرينَا
فوارسُنا إذا بَكَرُوا وراحـــوا على الأعداءِ شُوسا مُعْلَمِينَا[355]
لننصر أحمدا والله حتـــى نكونَ عبادَ صِدْقٍ مخلِصينَا
ويعلمُ أهلُ مكةَ حين ســـاروا وأحزاب أتَوْا متحزِّبينَا:
بأن الله ليس له شريـــك وأن الله مولى المؤمنينَا

---

[353] العقيقة : السحابة التى ينشق عنها البرق .

[354] فضافض : أى متناثرين .

[355] الشوس : من ينظرون بمؤخر عيونهم كبرا. مفرده : أشوس .

فإما تقتُلوا سعدا سَفاهــا فإن الله خيرُ القادرينَا
سيُدخلهُ جنانا طيبـــاتٍ تكونُ مُقامةً للصالحينا
كما قد ردكم فَلا شريــدا بغيظِكم خزايا خائبينَا[356]
خزايا لم تنالوا ثَمَّ خيــرا وكدتم أن تكونوا دامِرينَا
بريحٍ عاصفٍ هَبَّتْ عليكم فكنتم تحتَهامُتكَمِّهينَا[357]

شعر عبدالله بن الزبعرى في غزوة الخندق : وقال عبدالله ابن الزبعرى السهمي ، يوم الخندق :

حَيِّ الديارَ محا معارِفَ رسمِها طولُ البلىِ وتَراوحُ الأحقـــــابِ
فكأنما كتبَ اليهودُ رسومَهـــا إلا الكَنيَف ومَعْقِد الأطنابِ[358]
قفرا كأنك لم تكن تلهو بهـــا في نعمةٍ بأوانسٍ أتْرابِ[359]
فاترِكْ تَذكُّر ما مضى من عيشـةٍ ومَحلةٍ خَلْقِ الَمَقام بَبابِ
واذكرْ بلاءَ معاشر واشكرْهُــمُ ساروا بأجمعِهم من الأنصــــابِ
أنصابِ مكةَ عامدين ليثــــربٍ في ذي غَيَاطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجَــــابِ[360]
يَدَعِ الحَزُونَ مناهِجا معلومـــةً في كلِّ نَشر ظاهر وشِعابِ[361]
فيها الجيادُ شَوازبٌ مَجْنوبـــة قُبُّ البطونِ لواحقُ الأقـــرابِ[362]
من كُلِّ سَلْهَبةٍ وأجْرَدَ سَلْهَـــبٍ كالسِّيدِ بادرَ غفلَةَ الرُّقّـــابِ[363]

---

[356] القَل : المنهزمون .

[357] المتكمه ، في الأصل : من وُلد أعمى : والمراد أنهم لا يبصر ون .

[358] الكنيف : حفرة الماشية، والأطناب : الحبال التي تشد بها الخيام .

[359] الأتراب : المتساويات في السن .

[360] الغياطل : الأصوات . ويقصد " بذى غياطل جيشا كثير الأصوات . جبجاب : كثير.

[361] الحزون : ما ارتفع من الألم . المناهج : الطـرق الواضـحة. النـشر: مـا ارتفع من الأرض ،
والشعاب : جمع شعب : المنخفض بين جبلين .

[362] الشوازب : الضامرة . القب : الضامرة. لواحق الأقراب : ضامرة الخواصر.

[363] السلهبة : الطويلة . السيد: الذئب .

جيشٌ : عُيَيْنةُ قاصدٌ بلوائِـه فيه وصخر قائدُ الأحزابِ
قَرْمان كالبدْرَيْنِ أصبح فيهمــا غَيْثُ الفقيرِ ومَعْقِلُ الهــرَّابِ[364]
حتى إذا وردوا المدينةَ وارتَــدوْا للموتِ كلَّ مُجَرِبٍ قضــابِ
شهرا وعشرا قاهرين محمـــدا وصِحابُه في الحرب خيرُ صِـــــــــــــــــــــــــــــــــــــحابِ
نادوا برحلِتهم صبيحةَ قلتــمُ كِدنا نكونُ بها مع الخُيَّابِ
لولا الخنادقُ غادروا من جمعِهــم قَتْلَى لطير سُغَّبٍ وذئابِ
رد حسان بن ثابت عليه : فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري ، فقال :
هل رَسْمُ دارسةِ المقامِ يَبَـــابِ متكلِّم لمحاورٍ بجوابِ[365]
قَفر عَفَا رِهَمُ السحابِ رسومَـــه وهُبوبُ كلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــابِ[366]
ولقد رأيتُ بها الحلول يزينُهــم بيضُ الوجوهِ ثواقِبُ الأحســــــــــــــــــــــــــــــــــــــابِ[367]
فدعِ الديارَ وذِكْرَ كلِّ خريــــدةٍ بيضاءَ آنسةِ الحديثِ كَعابِ
واشْكُ الهمومَ إلى الإلهِ وما تــرى من مَعْشر ظَلموا الرســــــــــــــــولَ غِضَـــــــــــــــــــــــــابِ
ساروا بأجمعِهم إليه وألَّبـــــوا أهلَ القُرى وبوادِيَ الأعْرابِ
جيش عيينةُ وابنُ حربٍ فيهــمُ مُتَخَمِّطون جَلبةِ الأحـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــزابِ[368]
حتى إذا وردوا المدينةَ وارتجَــوْا قَتْلَ الرسولِ ومَغْنَم الأســلابِ
وغَدَوْا علينا قادرين بأيدِهــــم رُدُّوا بغيظِهمُ على الأعقابِ
بهُبوب مُعْصِفَةٍ تُفرقُ جمعَهـــم وجنود ربك سيدِ الأربــــــــــــــــــــــــــــــــــــــابِ[369]

---

[364] قرمان : مثنى قرم وهو السيد.

[365] اليباب : القفر.
المحاور: من يجادلك في الكلام .

[366] الرهم : المطر. مرباب : ثابتة.

[367] الحلول : البيوت المجتمعة . ثواقب : مزهرة .

[368] متخطمون : مختلطون . الحلبة : الخيل المعدة للسباق .

[369] فيه شاهد لمن زعم أن السيد من أسماء الله، وقد كره أكثر العلماء أن يقال في
الدعاء: يا سيدي ، وأجاز بعضهم ، واحتج بحديث ليس اسناده بالقوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل : يا سيد، فقال : السيد الله . وانظر لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى الحسنى والصفات للامام الرازي - بتحقيقنا. ط - الكليات الأزهرية .

فكفى الإلهُ المؤمنين قتالَهــم وأثابهم في الأجرِ خيرَ ثوابِ
من بعد ما قَنَطوا ففرَّق جمعَهم تنزيلُ نصرِ مليكِنا الوهابِ

وأقرَّ عينَ محمدٍ وصِحابِــه وأذلَّ كلَّ مكذِّبٍ مُرتابِ
عاتي الفؤادِ موقَّعٍ ذي ريبــةٍ في الكفرِ ليس بطاهرِ الأثوابِ
عَلِقَ الشقاءُ بقلبِه ففــؤادُه في الكفرِ آخرُ هذه الأحقابِ

كعب بن مالك يرد على ابن الزبعرى : وأجابه كعب بن مالك أيضا فقال :

أبقَى لنا حَدثُ الحروبِ بقيــةً من خيرِ نِحْلةِ ربِّنا الوهابِ
بيضاءَ مُشرفةَ الذرَى ومَعاطنــا حُمَّ الجُذوعِ غزيرة الأحلابِ[370]
كاللُّوبِ يُبذَل جَمُّها وحفيلُهــا للجارِ وابنِ العمِّ والمنتابِ[371]
ونزائعا مثلَ السراحِ نَمَى بهــا عَلَفُ الشعيرِ وجِزَّة المِقضابِ[372]

عَرِيَ الشَّوَى منها وأردفَ نحضَها جُرْدُ المُتونِ وسائرُ الأرابِ[373]

---

[370] الذرى : الأعالى . معاطنا يعنى: منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الإبل ، وهى مباركها عند الماء. حم الجذوع : وصفها بالحمة، وهي السواد، لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة، وشبه ما يجتنى منها بالحلب ، فقال : غزيرة الأحلاب .

[371] اللوب : الأرض ذات الحجارة السود. يبذل جمها وحفيلها: أي : الكثير منها. والمنتاب : الزائر مفتعل من ناب ينوب إذا ألمَّ .

[372] النزائع : الخيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى ونوَّنها وإن كانت ممنوعة من الصرف لضرورة الشعر - والسراح : وقع في الأصل السراج بالجيم ، أى كلا
واحد منها كالسراج ، ووقع في الحاشية بالحاء، وفسره فقال : جمع سرحان ، وهو الذئب . وجزة المقضاب : المقضاب : مزرعة، وجزتها ما يجز منها للخيل .

[373] الشوى، يعني القوائم . النحض : اللحم . جرد: ملس . المتون : الظهور. الأراب : المفاصل واحدها إرب ، وفى الحديث أمرت أن أسجد على سبعة آراب .

قودا تَراحُ إلى الصياحِ إذا غـَدَت للكَلابِ[374] فعلَ الضِّراءِ تَراحُ
وتحوطُ سائمة الديار وتـــــارةً بالأسْــلابِ تُرْدِي العِدَا وتئوبُ
حُوشُ الوحوشِ مطارة عندَ الوغـى الإنجـــابِ[375] عُبْسُ اللقاءِ مُبينةُ
عُلفتْ على دَعةٍ فصارت بُدَّنــا الإقصـــابِ[376] دُخْسَ البَضِيعِ خَفيفةَ
يِغْدُونَ بالزَّغْفِ المُضاعَفِ شَكَّـةً صِـــيابِ[377] وبِمُتْرَصاتٍ في الثقاف
صوارِمُ نَزعَ الصياقلُ غُلْبَهـــا وبكلِّ أروعَ ماجدِ الأنسابِ[378]
يصِلُ اليمينَ بمارنٍ مُتقـــارِب خَبَّـــابِ[379] وُكِلَتْ وقِيعتُه إلى
وأغرَّ أزرق في القناةِ كأنـــه شـــهابِ[380] في طُخْيَةِ الظَّلماءِ ضَوْءُ
وكتيبةٍ يَنْفِي القرآن قَتيرُهـــا وترَدُّ حَدَّ قَوَاحِذَ النُّشَّابِ[381]
جَأوى مُلَمْلَمَة كان رماحَهـــا في كلِّ مَجمعةٍ ضَريمةُ غابِ[382]
يأوي إلى ظلِّ اللواءِ كأنـــه في صَعْدَةِ الخَطيِّ فَيْءُ عُقَابِ[383]

---

[374] قَودا: أي طـوال الأعنـاق ، تـراح : تنشـط . الضـراء: الكلاب الضـارية، وفى الحديث : " أن قيسا ضراء الله في الأرض "، أي أسده الضارية. والكلاب : جمـع كـالب . وهو صاحب الكلاب ، الذي يصيد بها.

[375] الحوش : النافرة . عُبس : شديدة . الإنجاب : الكرم .

[376] دُخس: كثير اللحم . البضيع : اللحم المستطيل . الإقصاب ، يعنـي : جمع قصب وهو المعيَ ، ومنه سمي الجزار قصابا.

[377] الزغف : ما لان من الدروع . المترصـات : المحكمـه ، يعنـي الرمـاح المثقفة . صياب : صائبة . شكة: حلقه ونسجه .

[378] نزع الصياقل غلبها، أي صدءها، يقال غلب اللحم إذا لم يكن رخصا . والماجد: الشريف .

[379] المارن : اللين . وقيعته : صنعته أو صقله . خباب : عبد صانع للسيوف .

[380] الأغر الأزرق : يعنى الرمح ، وطخية الظماء: أي شدتها، وطخاء القلب : ظلمته .

[381] القران: تقارن النبل . القَتير: مسامير حلق الدرع ، ويريد به الدروع . قواحذ النشاب : النبال التي أصابت الأفخاذ.

[382] الجأوى : التي يخالط سوادها حمرة. ململمة: مجتمعة . الضريمة: الملتهبة .

[383] الصعدة : القناة المستقيمة . الخطى: الرمح . الفىء: الظـل . العقـاب : طائر جارح قوي المخالب أعقف المنقار حاد البصر يطلق على المذكر والمؤنث .

أعْيتْ أبا كَربٍ وأعيت تُبَّعا وأبتْ بسالتُها على الأعْرابِ
ومواعظٍ مِن ربِّنا نُهْدَى بها بلسانِ أزهَرَ طَيِّبِ الأثْوابِ
عُرِضَتْ علينا فاشتهينا ذِكرَها من بعدِ ما عُرِضت على الأحزابِ
حِكَماء يراها المجرمون بزعمِهم حَرَجا ويفهمُها ذَوُو الألبـــابِ
جاءت سَخينةُ كي تغالبَ ربَّها فَلْيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلابِ[384]

قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير، قال كعب بن مالك :

جاءت سَخينةُ كي تغالبَ ربَّها فَليغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلابِ

قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعبُ على قولك هذا.

قال ابن إسحاق : وقال كعبُ بنُ مالك في يومَ الخندق :

من سَرَّه ضربٌ يُمعْمِعُ بعضُه بعضا كمَعْمَعَةِ الإباءِ المُحْرَقِ[385]

---

[384] كان هذا الإسم مما سُميت به قريش قديما، ذكروا أن قصيا كان إذا ذبحت ذبيحة أو نحيرة بمكة أتي بعجزها، فصنع منه خزيرة، وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة . وقيل : إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز، وهو الوبر
والدم ، وتأكل قريش الخزيرة والفتة فنفست عليهم ذلك فلقبوهم ، سخينة، ولم تكن
قريش تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم ، ولتركه أدبا مع النبى عليه السلام ، إذ كان قرشيا، ولقد استنشد عبد الملك
ابن مروان ما قاله الهوازني في قريش :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

فقال : ما زاد هذا على أن استثنى، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة، فدل هذا على
أن هذا اللقب لم يكن مكروها عندهم ، ولا كان فيه تعيير لهم بشىء .

[385] السعة : صوت النار فيما عظم وكثف من الشعراء والقصباء ونحوها، والكلحبة صوتها فيما دق كالسراج ونحوه ، والقطمطة : صوت الغليان ، وكذلك الغرغرة والجعجعة صوت الرحى، والدردبة صوت الطبل .
الإباء: وهو القصب واحدتها إباءة، والهمزة الأخيرة فيها بدل من ياء، قاله ابن جنىلأنه عنده من الإبابة، كأنه القصب - الأغصان الملتفة - يأبى على من أراده
بمضغ او نحوه

فَلْياتِ مَاسدةً تُسنُّ سيوفُهـــا بين المذادِ وبينَ جزع الخنْـــدق[386]
دَرِبوا بضربِ المعلِمين وأسلَموا مهجاتِ أنفسِهم لَربِّ المشْـــرقِ
في عُصبةٍ نصرالإلهُ نبيَّـــه بِهِمُ وكانَ بعبْدِه ذا مَرْفقِ
في كلِّ سابغةٍ تَخط فضولُهــا كالنَّهْيِ هَبَّتْ ريحُه المترقْرِقِ[387]
بيضاءَ محكمةٍ كأن قَتيرَهـــا حَدَقُ الجنادبِ ذات شَك مُوثَقِ[388]

جدلاء يَحْفزُها نِجادُ مُهَنَّـــدٍ صافي الحديدةِ صارمٍ ذي رَوْنَـــق[389]
تِلْكُم مع التقوى تكونُ لباسَنــا يومَ الهياجِ وكلَّ ساعةِ مَصْدَقِ[390]
نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْن بخطوِنا قُدُما ونُلحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

---

[386] المأسدة: المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . تسن سيوفها: بنصب الفاء،
وهو الأصح عند القاضى أبي الوليد، ووقع في الأصل عند أبي بحر: تسن سيوفها
بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى : تسن أي تصقل ، ومعنى الرواية الثانية أى: تسن للابطال ،
ولمن بعدها من الرجال سنة الجرأة والإقدام . المذاد: مكان حفر الخندق .

[387] السابغة : الدروع الكاملة . تخط فضولها: ينجر على الإرض ما زاد منها. النهى : غدير الماء.

[388] القتير: مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب : نوع صغير من الجراد. والشك : إحكام في الصنع . موثق : قوية.

[389] جدلاء: من الجدل ، وهو قوة الفتل ، ومنه الأجدل للصقر، هذا البيت دليل على قوة
امتناع الصرف في أجدل وأنه من باب أفعل الذي مؤنثه فعلاء، ومن صرفه شبهه
بأرنب وأفكل ، وهو أضعف الوجهين ، وإن كانوا قد قالوا في جمعه : أجادل مثل
أرانب فقد قالوا أيضا الأجارع والأباطح في جمع أجرع وأبطح ، ولكنهم لا يصرفونهما
من حيث قالوا في المؤنث بطحاء وجرعاء، وكذلك القول في أبرق وبرقاء. يحفزها:
يرفعها أو يشمرها. النجاد: حمائل السيف . رونق السيف ، طلاوته وصفاؤه وبريقه .

[390] الشطر الأول من البيت ، من أجود الكلام : وأملح الإلتفاتات ، لأنه قول انتزعه من
قول الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26]. وموضع الإجادة والإحسان من قول
كعب أنه جعل لباس الدرع تبعا للباس التقوى، لأن حرف " مع " تعطي في الكلام
أن ما بعده هو المتبوع ، وليس بتابع - والله أعلم .

فترى الجماجمَ ضاحيا هاماتُهــا بَلْهَ أخُفِّ كأنها لم تُخلَقِ[391]

نلقَى العدوَّ بفخْمَةٍ مَلْمومـــــةٍ تنفي الجُموعَ كَقَصْدِ رأسِ المَشْـــــــرقِ[392]

ونُعِدُّ للأعداءِ كلَّ مُقَلَّـــصٍ وَرْدٍ ومَحْجولِ القوائمِ أبلقِ[393]

تَرْدِي بفرسانٍ كأنِ كماتَهــم عندَ الهياجِ أسودُ طَلِّ مُلْثِقِ[394]

صُدَقٌ يعاطونَ الكُماةَ حُتوفَهــم تحتَ العَمايةِ بالوَشيجِ المُزْهِـــقِ[395]

أمرالإلهُ بربطِها لعــــدوِّه في الحربِ إن الله خيرُمُوَفقِ

لتكونَ غيظا للعدوِّ وحُيَّطـــا للدارِ إن دَلَفَتْ خيولُ النُّزَّقِ[396]

ويُعيننا الله العزيزُ بقـــوةٍ منه وصِدْقِ الصبرِ ساعةَ نلتقي ،

ونطيعُ أمرَ نبيِّنا ونجيبُـــه وإذا دعا لكريهةٍ لم نُسْبَقِ

ومتى ينادِ إلى الشدائدِ نأتِهــا ومتى نَرَ الحَوْماتِ فيها نعْنِق[397]

من يتَّبعْ قولَ النبىِّ فإنـــه فينا مطاعُ الأمرِ حق مُصَدَّقِ

فبذاك يَنصرنا ويُظهر عزَّنــا ويُصيبنا من نيلِ ذاك بمرْفَقِ

إن الذين يكذِّبون محمـــدا كفروا وضلُّوا عن سبيلِ المتَّقى

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

---

391 بله : أى لا تسأل عن أخف ، وهو اسم فعل أمر بمعنى اترك أو دع

392 الملمومة : المجتمعة. أي : كتيبة مجتمعة. كفصد رأس المشرق : الصحيح فيه : ما رواه ابن هشام عن أبي زيد: كراس قدس المشرق ، لأن قدس جبل معروف من ناحية المشرق .

393 المقلص : الفرس الخفيف . والورد: الأحمر الضارب إلى الصفرة . ومحجول القوائم : في قوائمه بياض .

394 الطل : المطر الضعيف . اللثق : ما يكون عن الطل من زلق وطين، والأسد أجوع ما تكون وأجرأ في ذلك الحين .

395 العماية : ظلمة الغبار. الوشيج : الرماح .

396 خيول العزق : صعبة الإنقياد لتعبها.

397 نعنق : نسرع .

وبيته :

من يتبع قولَ النبى

أبو زيد. وأنشدني :

تنفي الجموعَ كرأس قُدْسِ المشرِقِ

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

لقد عَلِمَ الأحزابُ حين تألَبوا عليناورامواِ دِينَنا ما نُوادعُ

أضامِيمُ من قيسِ بنِ عَيْلانَ أصفقَتْ وخِنْدِفَ لم يَدْروا بما هو واقعُ[398]

يَذُودوننا عن دينناَ وتَذُودُهم عن الكفرِ والرحمنُ راءٍ وسامعُ

إذا غايَظونا في مقامٍ أعاننا على غَيْظِهم نصر من الله واسعُ

وذلك حِفْظُ الله فينا وفضلُه علينا ومن لم يحفَظِ الله ضائعُ

هدانا لدينِ الحقِّ واختاره لنا وللّهِ فوقَ الصانعين صنائعُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له :

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

---

[398] الأضاميم : الواحد منها إضامة، وهو كل شيء مجتمع يقال : إضمامة من الناس وإضامة من كتب قيس بن عيلان : هو المشهور عند أهل النسب ، وبعضهم يقول : إن قيسا
هو عيلان لا ابنه ، قال : وعرف قيس بن عيلان بفرس ، كان له يسمى : عيلانا، كما
عرف قيس كبة من بجيلة بفرس اسمه : كبة، وكان هو وقيس عيلان متجاورين ،
فكان إذا ذكر أحدهما وقيل أي القيسين هو، قيل قيس عيلان أو قيس كبة، وقيل :
إن عيلان اسم كلب ، كان له ، وقيل : عيلان اسم جبل وُلد عنده ، وقيل اسم عيلان لمضر كان حضنه ، وقيل كان جوادا أتلف ماله فأدركته عيلة فسمي عيلان ، وما
يحتج به للقول الآخر قول رؤبة :
وقيس عيلان ومن تقيسا
وأصفقت : اجتمعت على أمر

ألا أبلغْ قريشا أن سَلْعـا وما بينَ العُرَيْض إلى الصمادِ[399]
نواضحُ في الحروبِ مُدرَّبات وخوص ثُقِّبَت من عهدِ عادِ[400]
رواكدُ يزخَرُ المُرَّارُ فيهـا فليستْ بالجِمامِ ولا الثَّمادِ[401]
كان الغابَ والبَرْدِيَّ فيها أجَشُّ إذا تبقَّعَ للحَصادِ[402]
ولم نَجعلْ تجارتَنا اشتراءَ الـ حميرِ لأرضِ دَوْسٍ أو مُرادِ
بلادٌ لم تُنَزْ إلا لكَيْمَـا نُجالدُ إنَ نَشِطَتْمْ للجِلادِ
أنَزْنا سِكَّةَ الأنباطِ فيهـا فلم تَرَ مثلَها جَلَهَاتِ وادِ[403]
قصَرْنا كلَّ ذي حُضَر وطُولٍ على الغاياتِ مُقتَدِر جواد[404]
أجيبونا إلى ما نجتَدِيكـمْ من القولِ المُبيَّن والسَّدادِ[405]

---

[399] سلع : جبل بالمدينة . والعريض : وادٍ بالمدينة . والصماد: جمع صمد، وهو ما غلظ من الأرض .

[400] نواضح : حدائق نخل تسقى بالنضح . خوص : إنما جعل البئر خوصا لأن العين الخوصاء هى الغائرة، وجمعها خوص ، فعيون الماء في الأبار كذلك غائرة .

[401] المرار: اسم نهر. الجمام : الآبار كثيرة الماء. الثماد: الماء القليل .

[402] الأجش : العالى الصوت . تبقع : صار فيه بقع علامة النضج للحصاد يريد: صوت حفيف الريح ، كصوت الأجش ، وهو الأبح ، وقد يوصف النبات أيضا بالغنة من أجل حفيف الريح فيه ، فيقال : روضة غناء، وقد قيل إنما ذلك من أجل صوت الذباب الذي يكون فيه ، قاله أبو حنيفة الدينوري في كتابه (النبات) وفى هذا الشعر فخرت الأنصار به والذي قبله بنخلها وآطامها، إشارة إلى عزها ومنعتها، وأنها لم تُغلب
على بلادها على قديم الدهر، كما أجليت أكثر الأعاريب عن محالها، وأزعجها الخوف
عن مواطنها.

[403] السكة : النخل المصطف ، أي حرثناها وغرسناها، كما تفعل الأنباط في أمصارها لا نخاف عليها كيد كائد، وأياها اراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : خير المال سكة مأبورة، والسكة أيضا: السنة، وهي الحديدة التي يشق بها الفلاح الأرض ، ويقال لها أيضا: المان ،
وهو تفسير الأصمعى. الجلهات : من الوادي ما كشفت عنه السيول الشعراء فأبرزته ،
وهو من الجلة وهو انحسار الشعر عن مقدم الراس .

[404] الحضر: الجري . وذو الحضر: يريد الخيل .

[405] نجتديكم : نسالكم .

وإلا فاصبروا لجلادِ يـــومٍ لكم منا إلى شَطرِ المذَادِ[406]
نُصبِّحكم بكلِّ أخي حُـــروبٍ وكلِّ مُطَهَّمٍ سَلِسِ القيادِ
وكلِّ طِمِرَّةٍ خَفِق حشاهـــا تَدف دفيفَ صَفْراء الجرادِ[407]
وكلِّ مُقَلَّصِ الآرابِ نَهْـــدٍ تميمِ الخَلْق من أخْر وهادى[408]
خيولٌ لا تُضَاعُ إذا أضيعــت خيولُ الناسِ في السنةِ الجَمادِ
يُنازعْنَ الأعنَّةَ مُصْغيـــاتٍ إذا نادَى إلى الفزعِ المنادِي
إذا قالت لنا النُّذُرُ استعــدُّوا توكلْنا على ربِّ العِبادِ
وقلنا لن يُفرِّج ما لقِينَـــا سوى ضربِ القَوانِسِ والجهادِ[409]
فلم تَرَ عُصبةً فيمن لَقِينَـــا من الأقْرَامِ من قاس وبادى
أشدَّ بسالة منا إذا مـــــا أردناه وألْيَنَ في الوِدادِ
إذا ما نحنُ أشرَجْنا عليهـــا جِياد الجُدْلِ في الأرَبِ الشِّدادِ[410]
قذفنا في السَّوابغِ كلَّ صَقْـــر كريمٍ غير مُعْتَلِثِ الزنادِ[411]
أشمَّ كأنه أسد عبـــوسٌ غَداةً بدا ببطنِ الجزعِ غادِي
يُغَشِّي هامةَ البطلِ المذكَّـــى صَبِى السيْفِ مُسْترخِي النِّجادِ[412]
لنُظْهِر دينَك اللهمَّ إنـــا بكَفك فاهدِنا - سُبَلَ الرشاد

---

[406] الشطر: الناحية. والمذاد: حيث حفر الخندق بالمدينة .

[407] الطمـرة : الفـرس الوثـوب القويـة . تـدف : دف الطـائر: إذا حـرك جناحيه . صفراء الجراد:
وهي الخيفانة منها، وهي التي ألقت سرأها، أى بيضها، وهى أخف طيرانا.

[408] المقلص : الشديد. الإراب : قطع اللحم. النهد: الغليظ. والهادى : العنق . أي ، كريم
من أوله إلى آخره .

[409] القوانى : أعالى بيض الحديد.

[410] اشرجنا: ربطنا. الجدل : الدروع المحكمة النسج . الأرب : العقد الشديدة.

[411] الزناد المعتلث : هو الذي لا يدرى من أى عـود هـو، وأصـل الإعتلاث الإختلاط :
يقال علثت الطعام إذا خلطت حنطة بشعير، والعلاثة : الزند الذي لا يورى نارا.

[412] المذكى : شديد القوة. صبى السيف : وسطه . النجاد: حمائل السيف .

قال ابن هشام : بيته :

قصرنا كل ذي حُضْر وطول

والبيت الذي يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشم كأنه أسد عبوس

والبيت الذي يتلوه ، عن أبي زيد الأنصارى .

ما بكى به مسافع عمرو بن عبد ود: قال ابن اسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح ، يبكى عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل على بن أبي طالب إياه:

عمرُو بنُ عبدٍ كان أولَ فارسٍ جزع المذادَ وكان فارسَ يَلْيَل[413]
سَمْحُ الخلائقِ ماجد ذو مـرَّةٍ يبغي القتالَ بشِكّةٍ لم يَنْكُلَ
ولقد عَلمتمْ حين وَلَّوْا عنكـمُ ان ابنَ عبدٍ فيهمُ لم يَعْجَل
حتى تكنَّفه الكماةُ وكلُّهـــم يبغي مَقاتِلَه وليس بمؤْتَلِي[414]
ولقد تكنفت الأسنَّةُ فارســاً بجنوبِ سَلْعٍ غيرَ نَكْسٍ أمْيل
تَسَلُ النِّزالَ عليَّ فارس غالبٍ بجنوبَ سَلعٍ ليته لم يَنْزِلِ
فاذهبْ عليَّ فما ظَفِرْتُ بمثلِه فخرا ولا لاقيتَ مثلَ المُعْضِلِ
نفسى الفداءُ لفارسٍ من غالبٍ لاقَى حِمامَ الموتِ لم يَتَحَلْحَـــــل[415]
أعنى الذي جزعَ المذَادَ بمهرِه طلبا لثأرِ معاشر لم يَخْذُلِ

ما أنبَ به مسافع أصحاب عمرو بن عبـد ود: وقـال مسـافع أيضـا يـؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجْلَوْا عنه وتركوه :

عمرُو بنُ عبدٍ والجيادُ يقودُها خيل تُقادُ له وخَيْل تُنْعَل[416]

---

[413] جزع : قطع . المذاد: مكان بالمدينة حيث بني الخندق . يليل : وادي في بدر.

[414] ليس بمؤتلي : أي ليس بمقصر.

[415] لم يتحلل : لم يتزحزح .

[416] تنعل : تلبس نعال الخيل وهي الحديد في أرجل الخيل لتقوى على المشى.

أجلَتْ فوارِسُه وغادرَ رهطُــه ... رُكنا عظيما كان فيها أول
عجبا وإن أعجبْ فقد أبصرتُـه ... مهما تسومُ عليَّ عَمرا ينزِل[417]
لا تَبْعَدَنَّ فقد أصبت بقتلِـــه ... ولقيتُ قبلَ الموتِ أمرا يَثْقُلُ
وهُبَيْرةُ المسلوبُ ولَّى مدبِــرا ... عندَ القتالِ مخافةً أن يُقتلُوا
وضرارُ كان البأسَ منه مُحْضرا ... ولَّى كما ولَّى اللئيمُ الأعْــزَلُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له . وقـوله : " وعمـرا ينزل " عن غير ابن اسحاق .

ما قاله هبيرة في فراره ورثائه عمرو بن عبدود: قال ابن اسحاق : وقـال هُبَيْرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ويبكي عَمرا، ويذكر قتل على إياه .

لَعَمْري ما ولَّيْتُ ظهري محمـدا ... وأصحابَه جُبْنا ولا خِيفةَ القتــلِ
ولكنني قلَّبت أمري فلم أجِــدْ ... لسيفي غَنَاء إن ضربتُ ولا نَبْلي
وقَفت فلمَّا لم أجدْ لي مُقَدَّمــا ... صَدَرْتُ كضِرغامٍ هِزَبْرأبــى شَــبْلِ
ثنَى عِطْفَه عن قِرْنِه حين لم يجدْ ... مَكَرّا وقِدْما كان ذلك من فعلــي
فلا تَبْعَدَنْ يا عمرُ حيّا وهالكــا ... وحُقَّ لحُسْنِ المدْحِ مثلُك من مثلــى
ولا تَبْعَدَنْ يا عمرُو حيّا وهالكـا ... فقد بِنْتَ محمودَ الثنا ماجدَ الأصــلِ[418]
فمَنْ لِطرَادِ الخيلِ تُقْدَعُ بالقَنــا ... وللفخرِ يوما عندَ قَرْقَرَةِ البُــزْلِ[419]
هناك لو كان ابنُ عبدٍ لزارهــا ... وفرَّجها حقّا فَتًى غيرُ ما وَغْلِ[420]
فعنك علىّ لا أرى مثلَ موقــفٍ ... وقَفت على نَجدِ المقدَّم كالفحــلِ[421]

---

[417] تسوم : تطلب .

[418] الثنا: الذكر الجميل .

[419] قرقرة البزل : أصوات الإبل الكريمة .

[420] الرغل : الفاسد .

[421] عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد.

فماظفِرَتْ كفاك فخرا بمثلِــه   أمِنْتَ به ماعِشْتَ من زَلَّةِ النعل

ما قاله هبيرة في رثاء عمرو أيضاً : وقـال هـبيرة بـن أبـي وهـب يبكـى عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل على إياه :

لقد عَلِمَتْ عُلْيَا لُؤَيٍّ بنِ غالبٍ   لَفَارسُها عَمرو إذا ناب نائبُ

لفارسُها عَمرو إذا ما يَسومُـه   عَلي وإن الليث لا بد طالب

عَشِية يَدعوه عليٌّ وإنـــه   لفارسُها اذ خَام عنه الكتائِبُ[422]

فيا لهْفَ نفسى إن عَمْرا تركتُه   بيثرِبَ لا زالتْ هُناك المصـــائبُ

حسان يفتخربقتل عمرو: وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عَمرو بن عبد ود:

بَقِيتكم عَمْرو أبحناه بالقّنــا   بيثرِبَ نحمى والحُماة قليل

ونحن قتلناكم بكلِّ مُهنَّـــدٍ   ونحن وُلاةُ الحربِ حين نصولُ

ونحن قتلناكم ببدر فأصبحـتْ   معاشرُكم في الهالكين تجولُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا في شأن عمرو ابن عبد ود:

أمسى الفتى عمرُو بنُ عَبْدٍ يبتغي   بجنوبِ يَثْرب ثأرَه لم يُنْظَـــر

فلقد وجدْتَ سيوفَنا مشهــورةً   ولقد وجدْتَ جيادَنا لم تُقْصَــر

ولقد لقيتَ غَداةَ بدر عُصبــةً   ضربوك ضربا غيرَ ضَرْبِ الحُسَّرِ

أصبحت لاتُدْعَى ليوم عظيمـةٍ   يا عمرُو أو لجسيمِ أمر مُنْكَرِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

---

[422] خام : جبن .

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا:

ألا ابلغْ أبا هِدْمٍ رســولا مُغَلْغَلةً تَخُبُّ بها المَطِيُّ[423]
أكنتُ وليَّكم في كلِّ كُــرْهٍ وغير في الرَّخاءِ هو الوليُّ
ومنكم شاهدٌ ولقد رآنــى رُفِعْت له كما احتُمِلَ الصبيُّ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلي ، ويروى فيهــا آخرها:

كبَبْت الخزرجيَّ على يديه وكان شفاءَ نفسى الخزرجيُّ

وتُروى أيضا لأبى أسامة الجُشَمي .

ما قاله حسان في بكـاء سـعد بـن معـاذ: وقـال ابـن إسـحاق : وقـال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكـى سـعد بـن معـاذ ويـذكر حُكمـه فيهم :

لقد سَجَمت من دَمْعِ عينى عَبرة وحُقَّ لعيني أن تفيضَ على سعدِ

قتيل ثَوَى في معركٍ فجُعتْ به عيونُ ذوارِى الدمعِ دائمةُ الوجــدِ[424]
على مِلةِ الرحمنِ وارثَ جَنّـةٍ مع الشهداءِ وفدُها أكرمُ الوفدِ
فإن تك قد ودعْتَنَا وتركتنــا وأمسيْتَ في غَبراء مُظلمة اللحد[425]
فأنت الذي يا سعدُ أبْتَ بمشهد كريمٍ وأثوابِ المكارمِ والحمدِ
بحكمِك في حَيَّىْ قريظةَ بالذي قضىً الله فيهم ماقضَيْت على عَمْــدِ
فوافق حكمَ الله حكمُكَ فيهـمُ ولم تعفُ إذ ذُكِّرْتَ ماكان من عهــدِ
فإن كان رَيْبُ الدهرِأمضاك في الألى شَرَوْا هذه الدنيا بجناتِها الخلــدِ
فنعم مصيرُ الصادقين إذا دُعوا إلى الله يوما للوجاهةِ والقَصْدِ

---

[423] المغلغلة : الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد.

[424] ذوارى : ساكبة .

[425] اللحد: الشق في جانب القبر.المصباح المنير.

ما قاله حسان في بكاء سعد بن معاذ وغيره : وقال حسان ابن ثابت أيضا، يبكي سعد بن معاذ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا لَقومي هل لِما حُمَّ دافـعُ وهل مامضى من صالحِ العيش راجـعُ

تذكرت عَصْرا قد مَضى فتهافتتْ بناتُ الحَشَى وانهلَّ مني المـدامع[426]

صبابة وجْدٍ ذكرتني أحِبَّـــةً وقتلَى مضَى فيها طُفَيْل ورافعُ

وسعدٌ فأضحوا في الجِنانِ وأوحَشَتْ منازِلُهم فالأرضُ منهم بلاقِعِ

وَفَوْا يومَ بدر للرسولِ وفوقَهـــم ظلالُ المنايا والسيوفُ اللوامعُ

دعا فأجابوه بحق وكلُّهـــــمٍ مطيعٌ له في كلِّ أمر وسامعُ

فما نكَلوا حتى تَوَلَّوْا جماعـــةً ولا يقطعُ الآجالَ إلا المَصارعُ

لأنهم يرجون منه شفاعـــــةً إذا لم يكنْ إلا النبيونَ شافعُ

فذلك يا خيرَ العبادِ بلاؤنـــــا إجابتُنا للّهِ والموتُ ناقعُ

لنا القَدَمُ الأولى إليكَ وخلفُنـــا لأوَّلِنا في مِلةِ الله تابعُ

ونعلم أن المُلكَ للّهِ وحــــدَه وأن قضاءَ الله لا بدَّ واقعُ

ماقاله حسان في يوم بني قريظة : وقال حسان بن ثابت أيضا في يوم بني قريظة :

لقد لَقِيتْ قريظةُ ما سآهـا وما وجَدَتْ لذُلّ من نصيرِ

أصابهمُ بلاءٌ كان فيـــه سوى ما قد أصاب بني النضيرِ

غَداةَ أتاهمُ يهوي إليهـــم رسول الله كالقمرِ المنيرِ

له خيل مُجُنَّبة تَعَـــادَى بفرسانٍ عليها كالصقورِ

تركناهم وما ظفروا بشـــيءٍ دماؤهُمُ عليهم كالغَديرِ

[426] بنات الحشى : القلب وما اتصل به من أعضاء.

فهم صَرْعَى تحوم الطيرُ فيهم كذاك يُدانُ ذو العَنَدِ الفَجُورِ
فأنذِرْ مثلَها نُصحا قريشـــا من الرحمنِ إن قَبِلَتْ نذيري

وقال حسان بن ثابت في بني قريظة :

لقد لَقِيَتْ قريظةُ ما سآهـا وحَلَّ بحصنِها ذل ذليلُ
وسعد كان أنذرهم بنصــحٍ بأن إلهكم رب جليلُ
فما بَرِحوا بنقضِ العهدِ حتي فَلاهم في بلادِهم الرسولُ[427]
أحاط بحصنِهم منا صفـوف له من حَرِّ وقعَتِهم صليلُ

وقال حسان بن ثابت أيضا في يوم بني قريظة:

تفاقد مَعْشَرٌ نصروا قُريشا وليس لهم ببَلْدتِهم نصيرُ[428]
هُمُ أوتوا الكتابَ فضيَّعـوه وهم عُمْى من التوراةِ بورُ[429]
كفرتم بالقرآن وقد أتيْتُــم بتصديقِ الذي قال النذيرُ
فهان علَى سَراةِ بني لُـؤَي حريقٌ بالبُوَيْرةِ مُسْتَطيرُ[430]

أبو سفيان يرد على حسـان : فأجـابه أبـو سـفيان بـن الحـارث ابـن عبـد المطلب ، فقال :

أدامَ الله ذلك من صنيــعٍ وحَرَّق في طرائِقِها السعيرُ
ستعلم أينا منها بنُــزْهٍ وتعلم أيُّ أرضِينا تضيرُ[431]
فلو كان النخيلُ بها رِكابـا لقالوا لا مُقامَ لكم فسيروا

---

[427] فلاهم : ضربهم بالسيوف .
[428] تفاقد : هلك .
[429] بور : هلكى .
[430] البويرة : مكان لبني قريظة .
[431] النزه : البعد.

جبل بن جوال يرد على حسـان : وأجـابه جبـل بـن جَـوَّال الثعلـبي أيضـا، وبكي النضير وقُريظة، فقال :

ألا يا سَعْدُ سَعْدَ بني مُعــاذٍ لِمَا لَقِيَتْ قريظةُ والنضيرُ
لعَمْرُكَ إنَّ سَعْدَ بني مُعــاذٍ غَداةَ تحمَّلوا لهوَ الصَّبورُ
فأما الخزرَجيُّ أبو حُبــابٍ فقال لقَينُقاعٍ لا تَسيروا
وبُدِّلت الموالي من حُضَيْــر أسَيْدا والدوائرُ قد تدورُ
وأقفرتِ البُوَيْرةُ من سَــلامٍ وسَعْيةَ وابنِ أخطبَ فَهْيَ بُورُ
وقد كانوا ببلدتِهم ثِقــالا كما ثَقُلَتْ بميْطان الصُّخورُ[432]
فإنْ يهلكْ أبو حَكَمٍ سَــلام فلا رَبَث السلاحِ ولا دَثُور[433]
وكل الكاهنين وكانَ فيهــم مع اللِّين الخَضارمة الصقور
وجدنا المجْدَ قد ثَبتُوا عليــه بمجدٍ لا تُغَيبه البدورُ
أقيموا يا سراةَ الأوْسِ فيهــا كأنكمُ من المَخْزاهِ عور
تركتم قِدْرَكم لا شىءَ فيهــا وقِدْرُ القومِ حامية تفورُ

مقتل سلام بن أبي الحُقيق قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخنـدق ، وأمر بني قريظة،

وكان سلام بن أبي الحُقَيق ، وهـو أبـو رافع فيمـن حـزَّب الأحـزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوْس قبل أحـد قتلـت كعـبَ بن الأشرف ، في عداوته لرسول الله صلى الله عليـه وسـلم وتحريضـه عليه ، استأذنت الخزرج رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي قتـل سَلام بن أبي الحُقَيق ، وهو بخيبر، فأذن لهم .

---

[432] ميطان : جبل بالمدينة .

[433] الدثور: المتغير.

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزُّهري ، عن عبدالله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار: الأوْس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحْلَين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلَها، . وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوْس مثلَ ذلك .
ولما أصاب الأوْسُ كعبَ بنَ الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا، قال : فتذاكروا: مَنْ رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقَيق ، وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم .
من خرج لقتل ابن أبي الحقيق : فخرج اليه من الخزرج من بني سَلَمة خمسةُ نفر: عبدالله بن عَتيك ، ومسعود بن سِنان ، وعبدالله ابن أنيس ، وأبو قَتادة، الحارث بن رِبْعي ، وخُزاعي بن أسود، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمَّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَالله بن عَتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدا أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر، أتوا دار ابن أبي الحُقَيق ليلا، فلم يدعوا بيتا في الدار إلا أغلقوه على أهله . قال : وكان في عِلِّية له إليها عجلة[434] قال : فأسندوا فيها، حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس[435] الميرَة قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها

[434] العجلة : جذع النخلة ينقر في أماكن منه للصعود عليها كالسلم .
[435] الميرة : بكسر الميم وهي الطعام . المصباح المنير

الحجرة، تخوَّفا أن تكون دونَه مجاولةٌ تحول بيننا وبينه ، قـالت : فصـاحت امرأتُه ، فنوَّهَتْ[436] بنا، وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسـيافنا، فـوالله مـا يدلنا عليه في سواد الليـل إلا بياضـه كـأنه قُبطيـة[437] مُلقـاة . قـال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجـل منـا يرفـع عليهـا سـيفه ، ثـم يـذكر نَهْـيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبدُالله بـن أنيـس بسـيفه فـي بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول . قَطْنِي قَطني . أي حسبى حسـبى . قـال : وخرجنا، وكان عبـدالله بـن عَتيـك رجلا سـيىء البصـر، قـال : فوقـع مـن الدرجة فوثِئت[438] يدُه وثئا شديدا - ويقال : رجلُه ، فيما قال ابـن هشـام - وحملناه حتى نأتيَ به مَنْهرا مـن عيـونهم ، فنـدخل فيـه. قـال : فأوقـدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا قال : حتى إذا يئسوا رجعـوا إلـى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا: كيف لنا بأن نَعلمَ بأن عدوَّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا: أنا اذهب فـانظر لكـم فـانطلق حتى دخل في الناس . قال : فوجدت امرأته ورجالَ يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صـوت ابن عَتيك ، ثم أكذبتُ نفسي وقلت : أنَّى ابن عَتيك بهذه البلاد؟ ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت . فاظ[439] وإلهِ يهود، فما سمعتُ مـن كلمـةٍ كانت ألدَّ إلى نفسى منها. قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صـاحبنا فقـدِمنا على رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فاخبرنـاه بقتـل عـدو اللـه ، واختلفنا عنده في قتله له ، كلنا يدعيه . قـال : فقـال رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافَكم ، قال : فجئنـاه بهـا. فنظـر إليهـا فقـال لسيف

---

[436] نوهت : شهرت .

[437] القبطية والجمع : القباطي : ثياب بيض كانت تصنع في مصر.

[438] الوثء :إصابة العظم بلا كسر.

[439] فاظ: مات

عبد الله بن انيس : هذا قَتله ، أرى فيه أثرَ الطعام .

شعر حسان في قتل كعب بن الأشرف وسلام بـن أبـالحقيق : قـال ابـن اسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتـل كعـب بـن الأشـرف وقتـل سلام بن أبي الحقيق :

لله دَرّ عصابة لاقيتهـــم   يابنَ الحقيقِ وأنتَ ياابنَ الأشــرفِ .

يسرون بالبيضِ الخِفافِ إليكمُ   مَرَحا كَأسدٍ في عَرينِ مغرَفِ[440]

حتى أتوكم في محلِّ بلادِكـم   فسَقُوكُمً حَتْفا ببيضٍ ذففِ[441]

مستَبصرين لنصرِ دينِ نبيهمْ   مستصغِرين لكل أمرمُجْحِفِ[442]

قال ابن هشام : قولَه : " ذُفَّف " عن غير ابن اسحاق .

إسلام عَمرو بن العاص وخالد بن الوليد

ذهاب عمرو ومن معه إلى النجاشي : قالابن اسحاق : وحـدثني يزيـد بـن أبي حَبيب .عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفـي ، حـبيب بـن أبـي أوس الثقفي ، قال حدثني عمرو بني العاص من فيه قـال : لمـا انصـرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعـت رجـالا مـن قريـش ، كـانوا يـرون رأيـي، ويسمعون مني ، فقلت لهـم : تعلمـون واللـه إنـى أرى أمـر محمـد يعلـو الأمورَ عُلوا منكرا، وإني قد رأيـت أمـرا، فمـا تـرَون فيـه ؟ قـالوا: ومـاذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشى

---

[440] مغرف : ملتف الأغصان .

[441] ذفف : سريعة القتل.

[442] مجحف : أجحف بفلان : كلفه ما لا يطيق .

فنكون عنده ، فإن ظهر محمد علـى قومنـا كنـا عنـد النجاشـي ، فإنـا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يديْ محمد، وإن ظهر قومُنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتيَنا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحـبَّ مـا يُهـدى إليـه مـن أرضـنا الأدْمُ[443] ، فجمعنا له ادْما كثيرا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

طلب عمرو من النجاشي قتل عمرو بن أمية: فـوالله إنـا لعنـده إذ جـاءه عمرو بن أمية الضَّمْري[444] ، وكان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابى : هذا عَمرو بن أمية الضَّمْري ، لو قد دخلـت علـى النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضـربت عنقـه ، فـإذا فعلـت ذلـك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قَتلتُ رسولَ محمد. قال : فدخلت عليـه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقـال : مرحبـا بصـديقى، أهـديت إلـىَّ مـن بلادك شيئا؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت إليك

---

[443] الأدم : الجلد.

[444] كان قدوم عمرو بن أمية الضمري على النجاشى بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان في الكتاب ما تكلم به عمـرو بـن أميـة، فـإنه لما قدم عليه قال له : يا أصحمة إن على القوم وعليـك الإسـتماع أنـك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا بالثقة بك منك لأنا لم نظن
بك خيرا قط إلا نلناه ، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجـور، وفى ذلك
وقع الحز وإصابة المفصل ، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود فـي عيسى ابـن مريـم ، وقـد فـرق النـبي عليـه السـلام رسـله إلـى النـاس فرجاك لما لم يرجهم له ، وأمنك
على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر.
فقال النجاشى : أشهد بالله أنه للنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتـاب ، وأن بشارة
موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وإن العيان له ليس بأشفى من الخبر عنه ، ولكن أعوانى من الجيش قليل فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب .

أدْما كثيرا، قال : ثم قربته اليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملـك ، إني قد رايت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنـا، فـاعطنيه لاقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال : فغضـب ، ثـم مـد يـده فضرب بها انفه ضـربةً ظننـت انـه قـد كسـره ، فلـو انشـقت لـي الأرض لدخلت فيها فَرقا منه ثم قلت له : ايها الملك ، والله لو ظننتُ انك تكـره هذا ما سالتُكَه ، قال : اتسالني ان اعطيـك رسـولَ رجـلٍ يـاتيه النـاموسُ الأكبرُ الذي كان ياتى موسى لتقتله ! قـال : قلـت : أيهـا الملـك ، أكـذلك هـو؟ قـال : ويحـك يـا عمـرو أطعنـى واتبعْـه ، فـانه واللـه لعلـى الحـق ، وليظْهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعونَ وجنودِه ، قال : قلت : فاتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته علـى الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عمـا كـان عليـه ، وكتمـت أصحابي إسلامى.

عمرو وخالد يجتمعان على الإسلام : ثـم خرجـتُ عامـدا إلـى رسـول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت ، خالدَ بـن الوليـد، وذلـك قبـل الفتح ، وهو مُقبل من مكة، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : واللـه لقـد استقام المَنْسِمُ[445] ، وإن الرجلَ لنبى، اذهب والله فأسـلم ، فحـتى مـتى؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقـدم خالـد بـن الوليـد فأسـلم وبـايع ، ثـم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أبايعك على أن يُغْفَر لي ما تقدم مـن ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو، بايعْ ، فإن الإسلام

[445] المنسم : هناك من رواه الميسم بالياء، فهي العلامة، أي قد تبين الأمر واستقامت الدلالة، أما المنسم بفتح الميم وبالنون ، فمعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة، والمنسم مقدم خف البعير، وكني به عن الطريق للتوجيه به فيها.